الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ

الطبعة الأولى

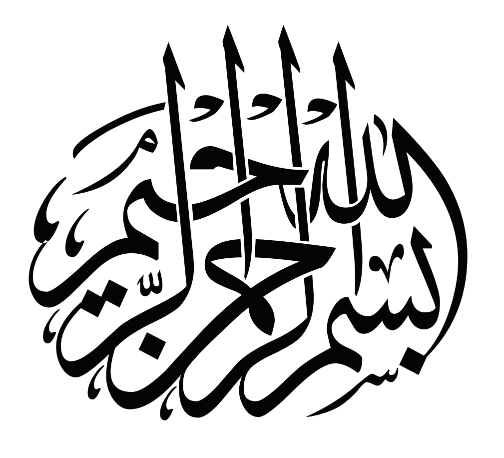
١٤٣٧هـ ــ ٢٠١٦م

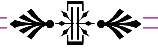
الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ

قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ، وَعِلاجُ لِلْمُنغّصاتِ

تأْليف

أحْمد بن ناصر الطَّيَّار


بسم الله الرحمن الرحيم


بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير

الحمد لله عالِم السرِّ والمكنون، المطلع على عبده أينما يكون، المحصي للحركات والسكون، يعلم ما كان وما يكون، ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله وصفيّه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم يُبْعَثُون.

أما بعد:

فإنَّ عقد الزواج من أعظم وأخطر العقود، وهو العقد الوحيد الذي سمَّاه ربنا ﷻ: عقدًا غليظًا، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

ولذا يَجِبُ على الزوجين مُراعاةُ هذا الْمِيثَاقَ الغَلِيظ؛ لما يترتب على التساهل به من آثارٍ خطيرةٍ عليهما وعلى أبْنائهما، بل وعلى المجتمع أيضًا.

«وَالزَّوْجُ فِي الْأَصْلِ الْعَدَدُ الْمُكَوَّنُ مِن اثْنَيْنِ، وَقَدِ اعْتُبِرَ فِي تَسْمِيَةِ كُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ «زَوْجًا» أَنَّ حَقِيقَتَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ زَوْجٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ شَيْئَيْنِ اتَّحَدَا فَصَارَا شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ كَانَا شَيْئَيْنِ فِي الظَّاهِرِ، وَلِذَلِكَ وَضَعَ لَهُمَا لَفْظًا وَاحِدًا لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ تَعَدُّدَ الصُّورَةِ لَا يُنَافِي وَحْدَةَ

الْمَعْنَى، أُرِيدَ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ الْمُشْتَرَكَ يُشْعِرُ بِأَنَّ مِنْ مُقْتَضَى الْفِطْرَةِ أَنْ يَتَّحِدَ الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ وَالْمَرْأَةُ بِبَعْلِهَا بِتَمَازُجِ النُّفُوسِ وَوَحْدَةِ الْمَصْلَحَةِ، حَتَّى يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمَا كَأَنَّهُ عَيْنُ الْآخَرِ»[(١)].

والحياةُ الزوجيّة في الأصل إنما تُبنى على المودَّة والمحبَّة، والرحمة والألفة، وهذا من آيات الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

أي خلق لكم من جنسكم إناثًا يكنَّ لكم أزواجًا، وذلك من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، ولماذا هذا؟: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ أي: كأنهم سكنٌ ومأوى لكم.

ثم خلَقَ وأنشأ تعالى في علاقتنا الزوجيَّة تلك المودة وهي المحبة، والرحمة وهي الرأفة، فإنَّ الرجل إنما يمسك المرأة لمحبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وقد وصف الله تعالى علاقة الزوجين بعضهما ببعضٍ بأبلغ وصفٍ فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وهن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن.

وليست الحياةُ الزوجيّةُ مُعقّدةً وصعبة، بل هي سهلةٌ ومُمتعةٌ، إذا اعْتمد الزوجان على الله تعالى أولًا، ثم أخذا بالأسباب الْمُعينةِ على ذلك، والإنسانُ اسْتطاع أنْ يُروِّض الوحوش القاتلة، والسباع العادية، والصقور الجارحة، أفلا يستطيع الزوجان أنْ يُروِّض أحدهما الآخر،

(١) «تفسير المنار» (٢/ ٣٧١).

وهو من جنسه الذي يتفق معه في الطباع والصفات وكلِّ شيء؟

والعجيب أنك لا تكاد تجد مُتزوّجًا ـ رجلًا كان أو امرأةً ـ إلا ويشتكي من الصعوبات التي تواجهه في حياته الزوجيَّة، لكنه لم يُكلِّف نفسه ولو ساعةً واحدةً في الشهر ليقرأ كتابًا أو يسمع شريطًا أو يَحْضر دورةً في كيفية التعامل مع شريك حياته، أو على الأقل يستشير أهل الخبرة والتَّجربة، ويقبل نصحَهم وتجاربَهم.

بل إن أكثر هؤلاء يخوضون التجارب بأنفسهم، ولم يستفيدوا من غيرهم ولا ممن سبقهم شيئًا.

ويا لَلْعجب! لو أن أحدهم أراد أنْ يدخل مشروعًا تجاريًّا، يضع فيه ما عنده من الأموال، لرأيته يسأل التجار وأهل الخبرة، ويضع تصوّرًا كبيرًا عن هذا المشروع، بحيث لا يُقْدم عليه إلا عن قناعةٍ تامة، وخبرةٍ كافية!.

أَوَليس بناءُ عش الحياة الزوجيّة، التي من خلالها تستقرّ نفسيّته أو تضطرب، ويُربي من خلالها أولاده: أكبرَ وأعظمَ مشروعٍ في حياتهم؟.

وإنّ مِمَّا يبعث على السعادة إقبالَ الشباب والشّابات على الزواج، والرغبة في تحصين الفرج، وعفّة النفس.

وإنني في هذا المقام أُحبُّ أن أهدي لكل زوجين هدية حسيّةً تليق بمقامهما، ولكنْ لا يُمكنني ذلك، ولأنَّ الهدايا الماديّة مآلها للزوال، فاخترت هديةً سيبقى أثرها طويلًا إنْ شاء الله، وتُفيدهما فائدة كبيرة بحول الله تعالى.

وهي عبارة عن قواعد ونصائح استفدتُّها من خلال اطلاعي وقراءتي، ومن خلال تجربتي في الحياة الزوجية وإن كانت قليلةً.

ففي حياتي الزوجية مرَّت عليّ بعضُ المشاكل والخلافات كأيّ

زوجين، ولكنني والحمد لله استفدت منها وعرفت أسبابها، ومَرَرتُ بتجارب عديدةٍ في إدارة الحياة الزوجيّة، فكثيرٌ منها نجح والحمد لله.

فأحببتُ أنْ أنقل لكلّ زوجين مهما تقادم عهدهما تجربةَ وخبرةَ سنوات حياتي، وتجربة غيري، وخلاصةَ قراءتي في الحياة الزوجيّة.

وقد كنت أُعطي الكثير من الأزواج بعضًا من هذه القواعد، فسمعت منهم ثناءً عاطرًا بعد ذلك، وأنهم انتفعوا بها، وأوضحتْ لهم معالم الحياة الزوجية، وجنَّبَتْهم الكثير من المشاكل والخلاف.

أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦



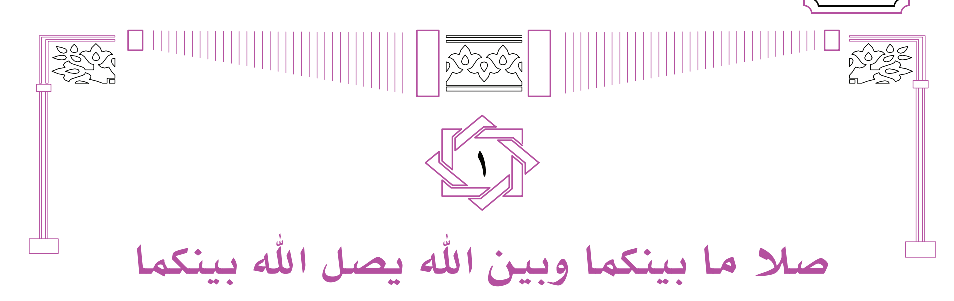
فيا أيها الزوجان الموفقان

إن أردتما أن تعيشا أحسن عيشة،

وتسعدا أحسن سعادة؛

فافهما هذه النصائح والقواعد

وطبِّقاها



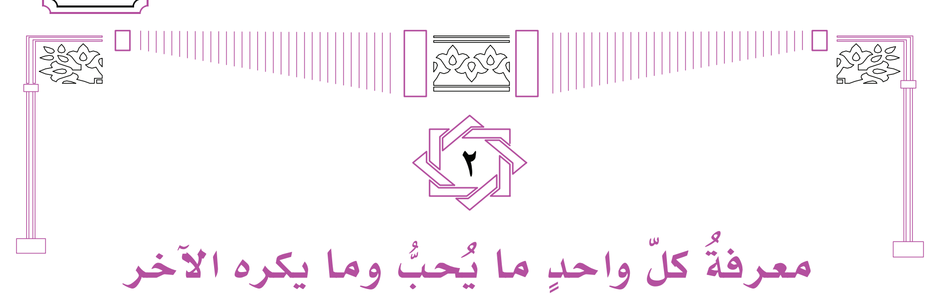
١
صلا ما بينكما وبين الله يصل الله بينكما

وذلك بأنْ تُحْسِنَا علاقتكما بالله ﷻ، فإذا كان الرجل مقبلًا على الله، والذي بينه وبين الله موصول، طَرح الله له القبول وأحبه الناس وزوجته، وكذا المرأة إذا كانت مقبلة على الله طرح الله لها القبول، فكم بسبب معصيةٍ تشتتت أسرة سعيدة؟؟ وكم بذنب انقلبت الحياة إلى نكد وحياة مريرة؟؟

احذرا من المعاصي، ووالله إن معصية الله لَهِيَ مِنْ أعظمِ أسباب جلب المشاكل والخلافات بينكما.

وإذا حصل خلاف بينكما على لُبسٍ، أو قصة شعر، أو أيِّ أمر، فلا يُبدي أحدكما رأيه ويفتي، بل اجعلا المرجع في الأمور الدينيَّة إلى ما قال الله تعالى وقال رسولُه ﷺ، وذلك بسؤال المشايخ والعلماء الثقات، فإذا قالوا بتحريمِ ذلك فيجب أن تتجنبوه.

❊ ❊ ❊



٢
معرفةُ كلّ واحدٍ ما يُحبُّ وما يكره الآخر

يجب أن يتعرف كلُّ طرف على الطرف الآخر، ولا يقف ذلك التعرف عند حدٍّ معين، فمع مرور الأيام ستكتشف أشياء جميلة، وإن أصعب سنوات الزواج هي السنوات الأولى منه، وذلك لعدم المعرفة التامة بين الطرفين.

وينبغي أن تعلما أنَّ كلًّا منكما عاش سنوات عمره السابقة وسط بيئة معينة وعادات معينة، وتقاليد قد تختلف من أسرة لأسرة، لذا يجب ألا تنزعجا من اختلاف وجهات النظر أو العادات والتقاليد، بل حاولا أن تتأقلما معها.

ومن أهم ما يحتاجه الزوجان أنْ يُخبر أحدهما الآخر بما يُحبه وما يكرهه من الطباع والأخلاق وغيرها، حتى يعملَا على القيام بها، ويتَجَنَّبَا ضدّها.

أمَّا أنْ يسكت أحد الزوجين عن ذلك، فإنَّ الآخر قد يقترف ما يُكدر خاطره، ويُضيِّق صدره، ثم يلومه ويُعاتبه بعد ذلك، وهو الْمُلامُ أولًا.

إذا كانت صورةُ الزوج عند زوجته واضحة، وانْكشف لها ما يهواه زوجُها وما يُبغضه: كان ذلك سببًا كبيرًا في دوام حبّهما وزواجهما، وسلامتها ممَّا يُكدِّرها.

وكذلك إذا كانت صورةُ الزوجة عند زوجها واضحة، وانْكشف له

ما تهواه زوجته وما تُبغضه: كان ذلك سببًا كبيرًا في دوام حبّهما وزواجهما، وسلامتها ممَّا يُكدِّرها.

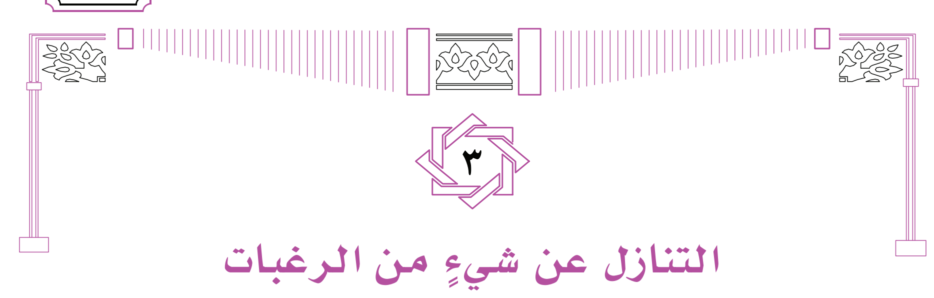
وتزداد أهمية ذلك إذا أرادا سفرًا، وخاصةً إذا كان السفرُ الأول لهما، فإذا علم كلٌّ واحدٍ ما يُحبه الآخر ويكرهه كان ذلك سببًا كبيرًا في توفيقهما في سفرهما، وتجنُّبهما ما يُكدرهما.

أحدُ الأصدقاء يُسافر كثيرًا مع صديقه لوحدهما، ويمكثون الأيام الطويلة، في قمة المتعة والتفاهم، فسُئل عن ذلك فقال: أولُ مرَّةٍ سافرتُ معه قال لي: يا فلان، أنا لم أُجرِّبك في سفر، فأخبرني بما تُحبه وما تكرهه، وأنا سأخبرك أيضًا!، يقول: فعرف كلٌّ واحدٍ ما يُحبُّه الآخر فأتى به، وما يكرهه فاجْتَنَبه، فكانت سَفْرتُنا من أمتع أيامنا، ولذا سافرنا لوحدنا بعدها مرارًا وتكرارًا.

وما أكثرَ الأزواج الذين سافروا ثم قطعوا رحلتهم، وما أكثر الأزواج الذين تقاطعوا وتنافروا بسبب عدم وضوح بعضهم مع بعض.

بل إنني أجزم بأنّ معظم المشاكل الزوجية والأسريّة سببها عدم الاهتمام بهذا الجانب المهمّ جدًّا.

❊ ❊ ❊



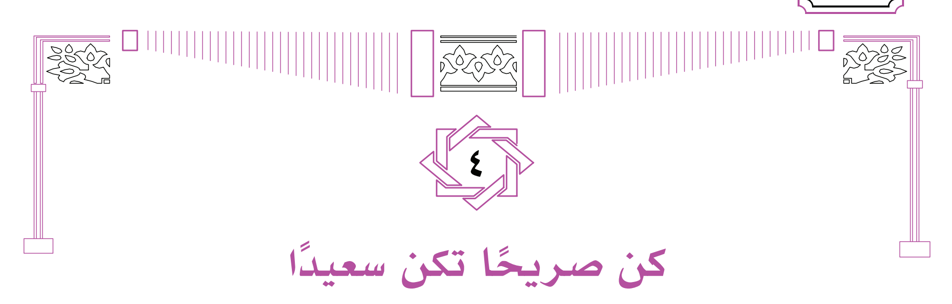
التنازل عن شيءٍ من الرغبات

يجب أنْ تكون هناك بعض التنازلات من الطرفين حتى تلتقي وجهات النظر في خط المنتصف.

لكن ينبغي التأكيد على أنّ الدين ليس فيه تنازلات أبدًا.

فأنت يا أيها الزوج لك آراء ووجهات نظر، وكذلك زوجتك لها وجهات نظر وآراء، فإذا تمسك كلٌّ واحدٍ منكما برأيه، ولم يتنازل عنه، فاحكما على حياتكما بالفشل.

* * *



٤

كن صريحًا تكن سعيدًا

إذا رأى أحدكما على الآخر ما يكره ولا يحبه فينبغي أن تتصارحا بما في أنفسكما ولا تكتماه!، فإنَّ الكتمان سبب رئيسي في الغليان الداخلي، وربما ينشط ويظهر ثوران البركان في أي لحظة مفاجئة ويحدث الانفجار الكبير الذي يصعب إيقافه.

لذا لا بد أن تتصارحا ولا تكتما فتندما؟

بل ينبغي لك أيّها الزوج أنْ تفرح إذا وجّهتْ لك زوجتُك نقدًا أو نصيحةً، أو صارحتك بِمَا تراه وتُلاحظه عليك، من تصرفٍ لا تُحبه، أو كلامٍ لا يُعجبها، وأنْ تتقبل ذلك بصدرٍ رحب.

وكذلك ينبغي لك أيّتها الزوجة أنْ تفرحي إذا وجّه لك زوجك نقدًا أو نصيحةً، أو صارحك بِمَا يراه ويُلاحظه عليك، وأنْ تتقبلي ذلك بصدرٍ رحب.

وكتمان أحدُ الزوجين ما بخاطره قد يتراكم حتى يصل إلى مرحلة الانفجار، فيحدث ما لا تُحمد عُقباه.

فالحلُّ الأمثل أنْ يبوح كلٌّ مِن الزوجين بما في خاطره، وأنْ يتقبل الآخر منه دون أدنى حرج.

قال أبو حاتمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ظاهرُ العتاب خيرٌ مِن مَكتوم الحقد، ورُبَّ عَتْبٍ أنْفَعُ من صفح.

إذا مَا امرؤٌ ساءَتك منه خَلِيْقَةٌ فكاتَمْتَهُ فالْوَهْنُ في ذاكَ تَرْكَبُ

لـعـلَّـك لـو عَـاتَـبْـتَـه ثُـمْ لُـمْـتَـه   لسَرَّكَ حتَّى لم تَكُنْ تَتَعَتَّبُ[(١)]

قال ياقوت الحموي: وما أحسن قول العتابي[(٢)] وأحكمه:

لَـوْمٌ يُـعـيـذك مـن سـوءٍ تـقـارفـه   أبقى لعرضك من قولٍ يُداجيكا[(٣)]

ثم إذا وافقتماني على هذه القاعدة أقول لكما: إياكما أن تتصارحا حال وجود المشكلة، أو حال غضبكما أو غضب الطرف الآخر؟

فتجد الزوجة تقول في حال غضبها: أنت يا فلان فيك كذا وكذا!!

وينتظر الزوج دوره أو يقاطع ويقول: وأنتِ فيك كذا وكذا!!

ويصرخان بكل عيب، سواء كان حقًّا أو ظلمًا.

لذا ينبغي عليكما أن تختارا الوقت المناسب والمكان المناسب.

وأنصح أن يكون النقاش بعد نزهة قصيرة، يُروِّحان فيها عن نفسيهما؛ لتكون أدعى للتفاهم والتصالح.

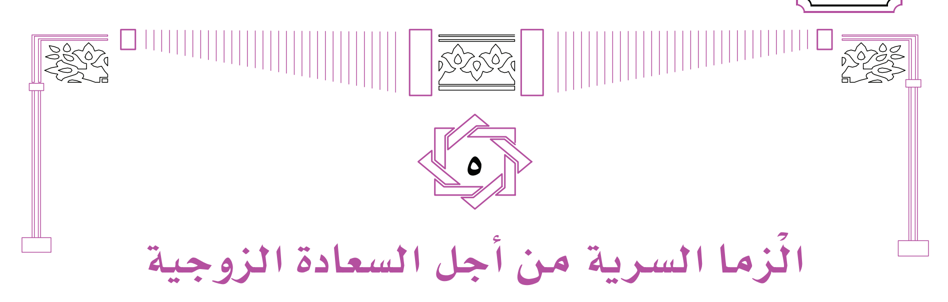
* * *

(١) «روضة العقلاء» (ص١٨١).

(٢) كما في «ديوانه» (ص١٢٩).

(٣) المداجاة: المداراة والمجاملة.

والمعنى: أنَّ لوم الناس لك على أخطائك وعيوبك أفضل وأحسن لك ممَّن يُجاملك ويُداريك، وهو أسلم لعرضك وسمعتك. في الأصل: لُؤْمٌ! وهو خطأ، والتصويب من مُعجم الأدباء لياقوت.



٥

الزما السرية من أجل السعادة الزوجية

عند الاختلاف بينكما احرصا على سرية أمركما، وألا يشعر أحدٌ باختلافكما ولا سيما الأقربون، فإنَّ خروج المشاكل من بيتكما إلى الآخرين ولو للأقربين: من أعظم أسباب تعكير جوِّ البيت في الغالب، بل رُبَّمَا تتفاقم المشكلةُ وتزيد.

فإذا نزلت بكما مشكلة فأغلقا بابكما وتفاهما ولا يشعر بكما أحد.

وحفظُ السِّرِّ من أعظم الأمانة، ونشرُه من أعظم الخيانة، وما أودع الزوجان أسْرارهما لبعضهما إلا حينما ائْتمن كلٌّ واحدٍ منها الآخر ورآه محلًّا للثقة، فهل يليق به أنْ يَخُونه ويضرَّه؟

ولا بد لأحدِ الزوجين أنْ يبوح بشيءٍ من أسراره للآخر، ويكشفَ له عن شيءٍ من حياته كما قال الشاعر(١):

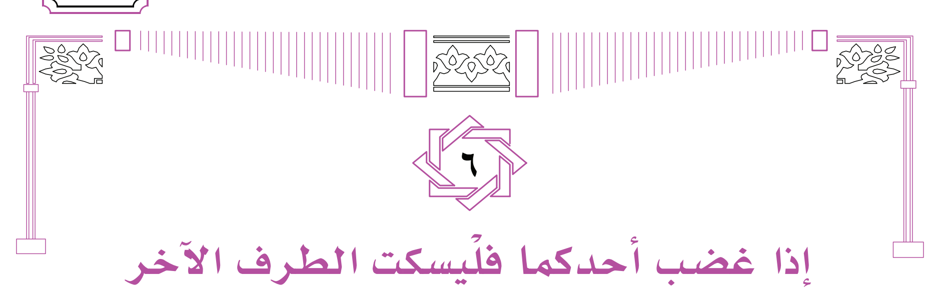
ولا بُدَّ من شَكْوَى إِلى ذي مُروءَةٍ ... يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أو يَتَوَجَّع

فلا يليق بذي المروءَةِ أنْ يُذيع أسرار حياته الزوجيّة، ويُشيع خواصَّ عشيره، ويستهين بكلامٍ خصَّه به دون غيره.

ولا بأس إذا كانت المشكلة كبيرة أن تعرضاها على من تثقا به من أقاربكما ليقدِّما لكما حلولًا مناسبة.

❊ ❊ ❊

(١) «ديوان بشار بن بُرد» (ص٩١٤).



٦
إذا غضب أحدكما فلّيسكت الطرف الآخر

إذا غضب أحدكما وبدأ في هيجانه وغليانه: فلا يقابله الطرف الآخر بمثل ذلك، فتلتقي ناران فتأكلان كل ما في البيت في ثوان!! فكم هُدم بيتٌ بسبب هذا الأمر! وكم ذاق الزوجان بسبب ذلك العلقم الْمُر!

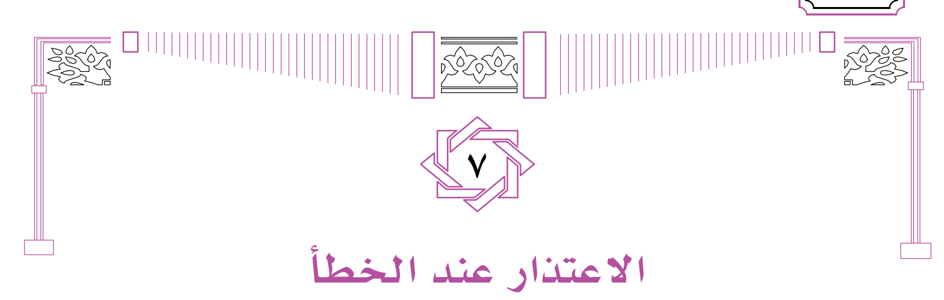
والواجب عليكما أيها الزوجان الموفقان عند غضب أحدكما: أن يسكت الآخر ويصمت، حتى ينتهيَ الغاضبُ من كلامِه، ثم يُعَقِّبُ الآخر باعتذارٍ مُختصر.

لأن الردّ عليه أثناء الغضب يراها إسكاتًا له أو إهانة له، أو تحقيرًا له، وذلك مِن شدةِ غضبه وتعكُّرِ مزاجِه.

فلْيلزم الطرفُ الآخر السكوت، فإذا انتهى فقدِّم أو قدمي كلمة اعتذار، وبعد زمن طويل ابحثا عن سبب المشكلة وقدِّما حلولًا لها بكل هدوء.

وما أجمل وصية أبي الأسود الدؤلي لابنته عندما أراد أن يدخلها على زوجها: إيّاك والغَيْرة فإنها مفتاحُ الطّلاقِ (والغيرة الْمفرطةُ تسبب بغض الزوج لزوجته) وعليكِ بالزِّينةِ، وأزينُ الزينةِ الكُحْل (وهو ليس للناس فقط بل أولى الناس به الزوج) وعليكِ بالطِّيبِ (وهو يشرح النفس، ويُطيّب الخاطر) وكوني كما قلتُ لأُمك في بعض الأحايين:

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتِي   ولا تَنْطِقي في سَوْرَتِي حينَ أَغْضَبُ
فإِنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ في القَلْبِ والأَذَى   إذا اجْتَمعا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ



٧

الاعتذار عند الخطأ

إذا أخطأت ـ أيها الزوج فاعتذر ـ، وإذا أخطأتي ـ أيتها الزوجة ـ فاعتذري، وانتبها واحذرا من الْمُكابرةِ التي تحطم الحياة الزوجية تحطيمًا كبيرًا.

كمْ همُ الذين تَبدُرُ منهم زلَّةٌ أو تقصيرٌ مع أزواجهم أو زوجاتهم، فلا يُسارعون في الاعتذار إليهم، وتطييبِ خواطرهم، فتتراكم أثارُها في القلوب، وتزيد في التباعد.

عوِّدْ نفسك أنْ تقول: آسف، أعتذر عن خطئي، أُقِرُّ بأني مُخطئ، وهكذا، فإن الاعتذار يُزيل ما في القلب من ضغينةٍ، ويغسل ما ألَمَّ به من ألَمٍ.

«الاعتذارُ يُذهب الهموم، ويُجْلي الأحزان، ويَدفع الحقد، ويُذهب الصدّ، فلو لم يكن في اعتذارِ المرء إلى أخيه خصلةٌ تُحمد إلا نفي العُجْب عَن النفس في الحال لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كلِّ زلة»(١).

ومِمَّا ينبغي الحذر منه: عدمُ الاعترافُ بالخطأ عند طلب الْمُسامحةُ، بل يكتفي بكلامٍ مُجْمَلٍ لا صراحةَ فيه بطلب المسامحة، ولا تصريح بالاعتراف بالخطأ، فمثلًا: بعضهم ربما يقول: يا فلان، إنْ كنتُ

(١) «روضة العقلاء» (ص١٦٩).

أخطأتُ فأنا بشرٌ أُخطئ وأُصيب! وبعضُهم يُرسل رسالةً يقول فيها: إلى كلّ من ظلمتُه أو أخطأتُ في حقِّه أرجو مسامحتي، فأنا قد سامحتُ كلَّ أحد!!

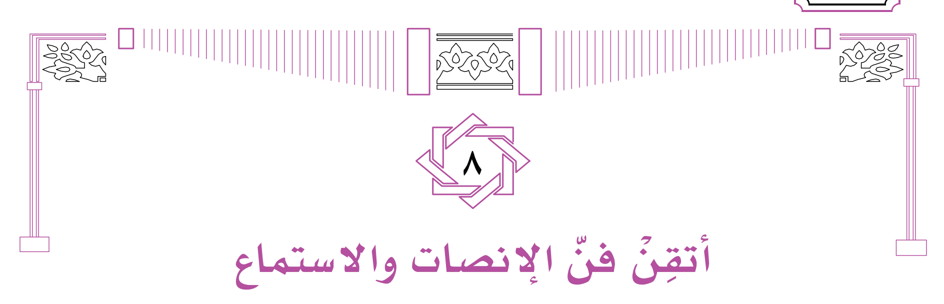
وهذا كلُّه لا يُسمى اعتذارًا ولا رجوعًا عن الخطأ، بل هو بغيضٌ ثقيلٌ.

قال بعض السلف: رُبَّ ذنبٍ أحسنُ من الاعتذار منه؛ وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

إذا كان وجهُ العذرِ ليس بواضحٍ   فإنَّ اطِّراحَ العُذْر خيرٌ من العذر

* * *

(١) «التذكرة الحمدونية» (١/ ٤٥٦).



٨
أتقِنْ فنّ الإنصات والاستماع

استمع أيها الزوج لقلق زوجتك وتذمرها وشكواها ـ سواءٌ تشتكي منك أو من غيرك ـ دون أن تُصدر حكمًا حيالها، وكذلك الزوجة استمعي لقلق زوجك وتذمره وشكواه ـ سواءٌ يشتكي منك أو من غيرك ـ دون أن تُصدري حكمًا حياله.

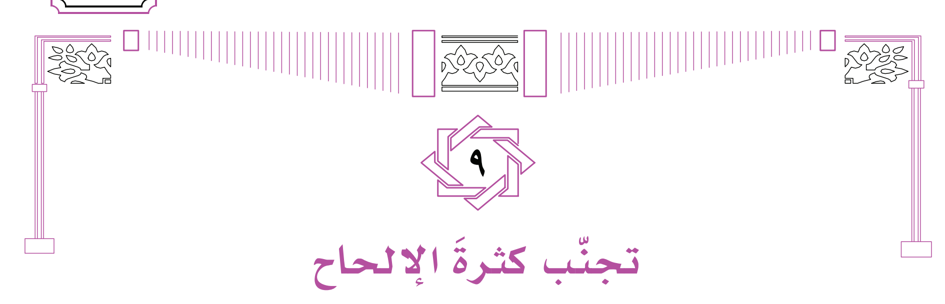
ففي كثير من الأحيان يكون كلُّ ما نحتاجه هو وجود أحدٍ يستمع إلينا، فهذا يفتح الباب للثقة والمحبة.

ويعد الاستماع والإصغاء من أهمّ أدوات حلّ المشاكل الزوجية بل والأسرية وغيرها.

إنّ إنصاتك ـ أيها الزوج ـ لزوجتك وهي تشكو لك ما تلْقاه منك أو من أبنائك أو غيركم يُخفّف عنها الحمل والعبء العظيم، ويضع الكثير من الهموم عن كاهلها، وبذلك تتحسّن نفسيّتُها، ويصفو مزاجُها، وهذا أعظم أسباب تلاشي المشاكل بإذن الله تعالى.

* * *





تجنّب كثرةَ الإلحاح

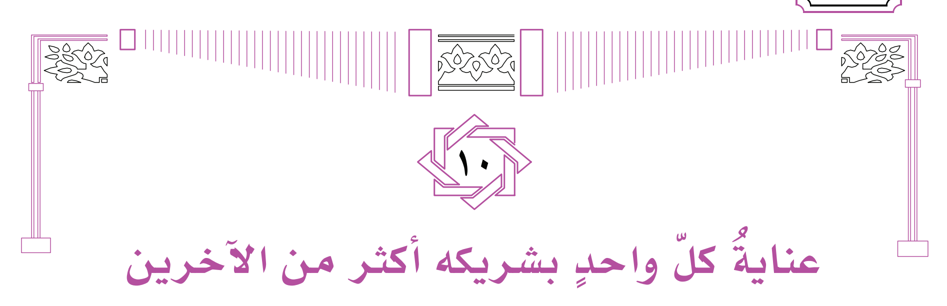
لا يكثر أحدكما الإلحاح والطلبات على الآخر، فإنه يسبب الملل والسآمة، فلا يكلف أحدكما الآخر ما لا يطيق أو ما لا يرغبُ.

والإلحاح أكثر ما يكون مِن قِبَل المرأة، حيث تُعيد وتُكرّر ما تطلبه من زوجها، وقد يعتذر عن تلبية الطلب لأسبابٍ وجيهة، فلا تقتنع من ذلك، بل تطلب منه أنْ يجد حلًّا، الْمهمّ أنْ يُنفّذ ما تطلبه.

وهذا نوعٌ من الأنانيَّة البغيضة، إذ يفهم الزوج أنّه لا يُهمّها إلا نفسها، ولو على حساب زوجها، ولو وقع في الحرج مع الناس!

فهذا من أعظم أسباب تفاقم المشاكل وتنافر القلوب.

* * *



عنايةُ كلّ واحدٍ بشريكه أكثر من الآخرين

أهمّ ما عليك ـ يا أيها الزوج ـ زوجتك ولو غضب الناس كلهم، وأهم ما عليكِ ـ أيتها الزوجة ـ زوجك ولو غضب الناس كلهم، فلا تسمعوا لكلام الناس ما دمتم متفاهمين ومتآلفين.

لكن يجب عليكما أنْ تُداريا والديكما عند غضبهما أو صدور أمرٍ تكرهانه منهما.

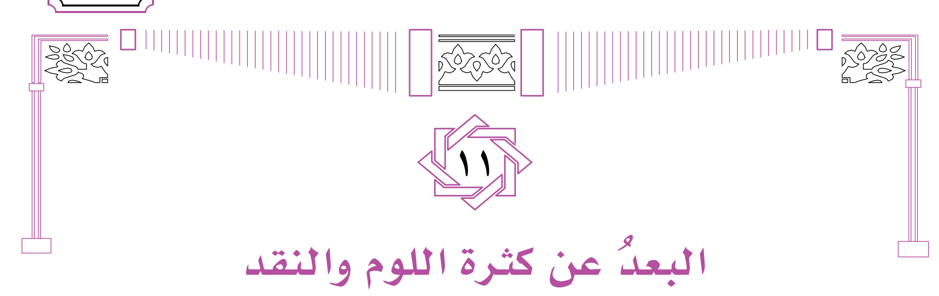
وبعض الزوجات تكون بعيشةٍ رضيّة مع زوجها، ثم لا تلبث أنْ تُجالس فلانةً أو علّانة فتُغيّر من قناعاتها وآرائها، فما إنْ تأتي إلى البيت حتى تقلبه رأسًا على عقب!

وهذا يظهر جليًّا بعد الزيارات والاجتماعات.

وبعضُ الزوجات ـ هداهنّ الله ـ تهتمّ بمراعاة كلام الناس وآرائهم أكثر من رغبة الزوج! وهذا ممّا يُسببّ نفور الزوج منها، حيث يرى اهتمامها بالناس أكثر من اهتمامها به.

ولا شك أنّ ذلك ليس في مصلحتها أولًا ولا مصلحةِ زوجها ثانيًا، بل هو من سبيل الشقاق.

❊ ❊ ❊



١١ البعدُ عن كثرة اللوم والنقد

لا تكثرا اللوم والنقد، وفرًّا منه فرار الشاة من الذئب.

فبعض الناس يلوم على أتفه شي، فإذا أحضرت الزوجة الفطور أول ما يبدأ بالنقد، سكر الشاي قليل، ما فيه ماء، الصحن كبير!!!

وكذلك الزوجة إذا جاء زوجها للبيت مُتعبًا تستفتح قدومه باللوم والنقد، لماذا تأخرت، جوالك مقفل!!!

واعلما أنّ العتاب هو اللوم والتقريع، وبوحُ أحدكما للآخر بما وجده عليه.

والعتاب على نوعين:

النوع الأول: عتابٌ لا يستغني عنه أحدٌ، ولا تدوم المودَّةُ والمحبّة بدونه، وهو مخاطبة الإدلال، والعتاب بألطف أسلوب، وإخباره بأنه لا يرغب بالشيء الفلاني، ويُصارحه بلطفٍ عن شيءٍ رآه منه وأزعجه مثلًا.

وهذا لا غِنى لأحدٍ عنه، كما قال الشاعر:

إذا ذهب العِتاب فليس وُدٌّ ... ويبقى الوُدُّ ما بقى العتابُ

وهذا العتاب يُفيد كثيرًا إذا كان بأسلوبٍ رقيقٍ جميل، ولم يكن كثيرًا مُمِلًّا، فالإكثار من كلِّ شيءٍ مُمِلّ.

النوع الثاني: هو اللوم والتقريع بأسلوبٍ فظٍّ غليظ، وهذا هو الذي يجب على الزوجين اجتنابه بتاتًا، والنوع الأول يُجتنب الإكثار منه، فالإكثار من كل شيءٍ مُمِلّ.

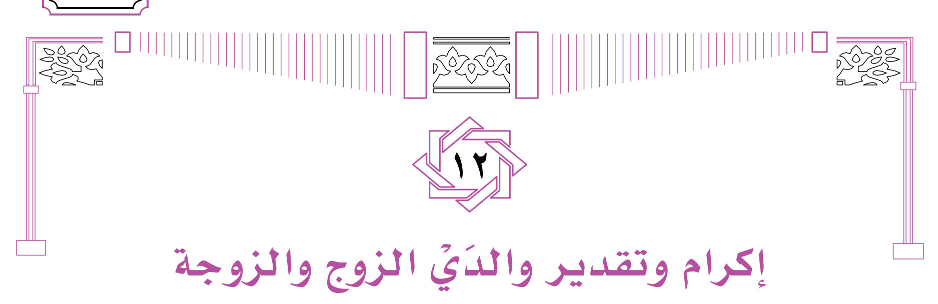
ونهاية هذا العتاب غالبًا الهجر والقطيعة، وصدق القائل[١] :

أردتُّ عتابَكم فصفحتُ إني رأيتُ الهجرَ مَبْدَأُه العِتَابُ

وكثيرًا ما تفرّق الأحباب والأزواج بكثرة العتاب، وشدة اللوم.

* * *

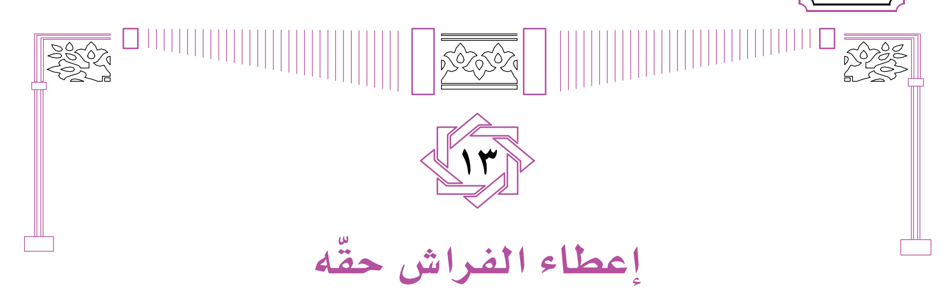
(١) «الصداقة والصديق» (ص١٧٨).



إكرام وتقدير والدَيِّ الزوج والزوجة

الله الله يا أيها الزوج في إكرام وتقدير والدَيْ زوجتِك، وأنتي يا أيتها الزوجة الله الله في إكرام وتقدير والدَيْ زوجِك، فالرجل إذا أكرم والدي المرأة أَسَرَ قَلْبَها، وعند حدوث مشاكل مع الزوجة يقف الوالدان بجانب الرجل وبصفِّه، وكذلك المرأة إذا أكرمت والدي الرجل أَسَرَتْ قَلْبَه، وعند حدوث مشاكل مع الزوج يقف الوالدان بجانبها وبصفِّها.

❊ ❊ ❊



إعطاء الفراش حقّه

لا بدّ من إعطاء الفراش حقّه، وإشباع الرغبة الفطريّة.

ولا يُمكن ذلك إلا باتباع الأمور التالية:

١ ـ النظافة والاغتسال قبل المجيء للفراش، واسْتعداد المرأة لاستقبال الزوج، ووضعُ الأولادِ في مكانٍ مُناسبٍ حتى لا يُشوِّشوا على مزاجهما.

٢ ـ ألا يُفتح نقاشٌ وقت النوم، بل كلّ نقاش أو حوار يكون في وقتٍ آخر يتفقان عليه.

٣ ـ مَنْعُ الجوال وغيره من التقنيات الحديثة عند مجيء الزوج للنوم.

٤ ـ أنْ يَنْصَبَّ التفكيرُ والاهتمامُ لإرضاء وإشباع كلّ واحدٍ منهما الآخر، واسْتخدام كلّ الوسائل المباحة التي تجذب المودّة والمحبّة.

واعْلما أنّ معظم حالات الطلاق والمشاكل منشؤها من عدم الأنس والسعادة في الفراش!!!، فلْيُشْبع كلٌّ منكما الآخر.

وإذا لم يأخذ الزوجان أو أحدُهما كفايته، ولم يُشبع رغبته كما ينبغي، فإنّ هذا يعودُ عليه بالضرر النفسيّ والجسميّ، وتدبّ إلى سويداء قلبه الكراهيةُ والنفرة مع مرور الأيّام، وأيّ مُشكلةٍ تمرّ بينهما فإنها تتضخم وتكبر.

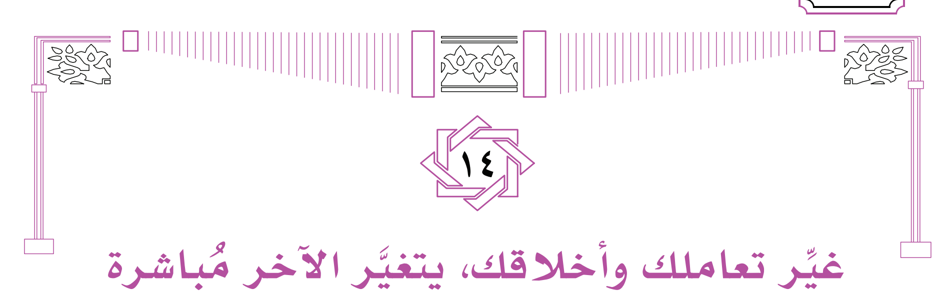
والعناية بالجماع دواءٌ نافعٌ للبدن والنفس، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

حضَّ النبيُّ ﷺ على استعمال هذا الدواء، ورغب فيه، وعلَّق عليه الأجر، وجعله صدقةً لفاعله فقال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»[(١)] ومن تراجم النسائي على هذا: (الترغيب في المباضعة) ثم ذكر هذا الحديث، ففي هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرح النفس، وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفة الروح، وذهاب كثافتها وغلظها، وخفة الجسم، واعتدال المزاج، وجلب الصحة، ودفع المواد الرديئة.

فإن صادف ذلك وجهًا حسنًا، وخلقًا دَمِثًا، وعشقًا وافرًا، ورغبة تامة، واحتسابًا للثواب: فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء، ولا سيما إذا وافقت كمالها، فإنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة، فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف بشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها، وتقابله من المحبوب، فإن فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة إليه، متقاضية له، فلا تسكن كل السكون، ولذلك تسمى المرأة سكنًا لسكون النفس إليها قال الله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].اهـ[(٢)].

* * *

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٢) «روضة المحبين» (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).



١٤
غيِّر تعاملك وأخلاقك، يتغيَّر الآخر مُباشرة

لو أفنى الواحد عمره في تغيير طِباعِ وأخلاق شريكه فلن يحصد إلا القدر اليسير من النتائج، ولكن إذا أراد أنْ يغيره فعليه أن يغير نفسه، فسيرى أن شريكه سيتغير تدريجيًّا.

وقد أعطانا الله تعالى قاعدةً شرعيَّة وكونيَّةً عظيمة، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فلنْ تتغيّر حياتُك الزوجيَّة إلى الأحسن والأفضل حتى تبدأ بنفسك فتغيّرها وتهذّبها، ثم تجد الآخر يتغيّر معك تلقائيًّا مع مرور الأيام بإذن الله تعالى.

يقول لي أحدُ الأزواج: أمضيت خمسًا وعشرين سنةً مع زوجتي، لم أذق طعم ولذَّة الحياة الزوجية، بل حياتنا مشحونةً بالمشاكل وسوء التفاهم، ففكرتُ ذات يومٍ في سبب ذلك، فقلت: لعلي أنا السبب في ذلك، ثم جلست مع نفسي لأبحث عن الخلل، فوجدتّه كثرةُ لومي لها، وكثرة ما أقول لنفسي حين أرى منها سلوكًا خطئًا: لا بدّ أنْ ألومها وأُعاتبها، ولو سكتّ لتجرّأتْ عليّ وعادتْ لهذا السلوك مرّةً أُخر.

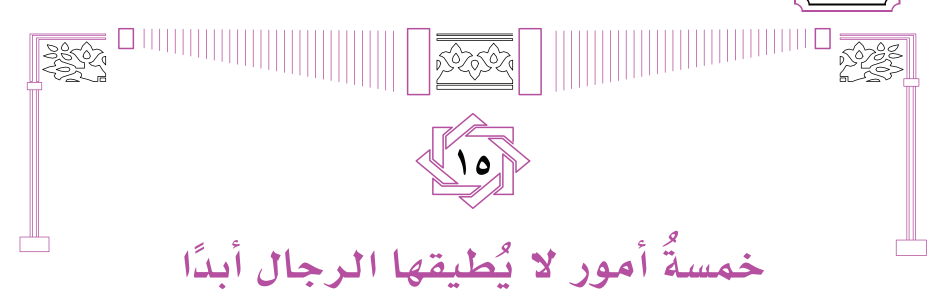
قال: فرأيت منها حين تركت اللوم والعتاب كلّ الاحترام والتقدير، وسارتْ حياتُنا بعد ذلك بأحسن حال.

وكثيرًا ما يُطالب الأزواج أنْ يغير الآخر من تعامله وسلوكه، وهو غيرُ مُستعدٍّ أنْ يُغيّر من أخلاقه وتصرّفاته، ولا أنْ يتنازل عن بعض رغباته.

وكثيرًا ما يُلقي أحدُ الزوجين باللوم على الآخر عندما يتصرَّفون بتصرُّفاتٍ سيِّئةٍ، أو يرتكبون أفعالًا خاطئةً، وينسون أنَّهما جميعًا يستحقّان اللوم والعتاب؛ لأنه كان منهما نوعُ تفريطٍ وتقصير في اتِّخَاذ الأسلوب الأمثل في التعامل مع الآخر.

ولْتعلموا ـ معاشر الأزواج والزوجات ـ: أنَّ من أراد أنْ يكسب الطرف الآخر: فلْيبدأْ بنفسه فلْيُدرِّبْها على التخلُّقِ بالأخلاق الحسنة، والتعاملِ بالرفق والحلم والصبر.

* * *



١٥ خمسةُ أمور لا يُطيقها الرجال أبدًا

اعلمي ـ أيتها الزوجة الموفقة ـ أنَّ الزوج قد يحتمل ويتغاضى عن أشياء، ويرى أنَّ الحياةَ الزوجية مُمْكنةٌ ولو مع وجودها، ولكن ما لا يحتمله ويصبر عليه، ويرى أنَّ الحياة جحيمٌ مع وجودِ خمسة أمور، هي بإجماع الأزواج ـ حسب ما أعلمه منهم بعد السؤال والتقصّي ـ:

١ ـ عدمُ إعطائه حقَّه في الفراش، ، والتذمُّر كلما طلب حقَّه، وعدم الاستعداد وعدم التهيؤ له.

٢ ـ رفعُ الصوتُ عليه، والصراخُ في وجهه، فهذه يعتبرها الرجال من الدرجة الأولى في الإهانة، وتجاوز الخطوط الحمر عنده، وهزٌّ لكرامته ورجولته.

وإني أعرفُ رجلًا دامتْ مشاكله مع زوجته قرابة عشر سنوات! ومع أنه يُثني عليها ثناءً عطرًا، ولكنّه يشتكي من طول لسانها، ورفعها الصوت عليه، فعاتبها مرارًا وتكرارًا فلم ترعوِي، حتى شعر أنّها بذلك قد أهانته، ولوّثت كرامته، فهجرها أسبوعًا، ثم عزم على طلاقها، فجاءَتْه وقالت له: يا فلان، إنّ حياتنا مليئةٌ بالمشاكل والخلافات، وإنْ والله أرى حياتنا لا تُطاق، وأخشى أن أحدًا أصابنا بعينٍ أو شرّ.

فقال لها: وكذاك الحال عندي، ولكنّ السبب هو والله لسانك أنت، فرفعُ الصوت والصراخ عليّ أو على أولادي عندي، ورميك بعضَ العباراتِ التي لا تُدركين عواقبها، هو السبب الذي أعتقد وأجزم أنّ

الذي كدّر ونغّص حياتنا طوال هذه السنين، فاجتنبيه لتري الفرق والتغيّر العظيم في حياتنا.

فقالت له: لأول مرّةٍ أراك تجلس معي بهدوء، وتُخبرني بما تُلاحظه عليّ، ولك منّي أنْ أجتنب ما لاحظته عليّ بإذن الله تعالى.

قال بعدها: فوالله لقد عشت بعد ذلك معها بأحسن ما يكون، وزالت كلّ المشاكل والخلافات بلا اسْتثناء ولله الحمد.

٣ ـ التكبر وعزَّةُ النفس، والردُّ عليه إذا غضب، والأنفةُ وعدمُ الاعتذار.

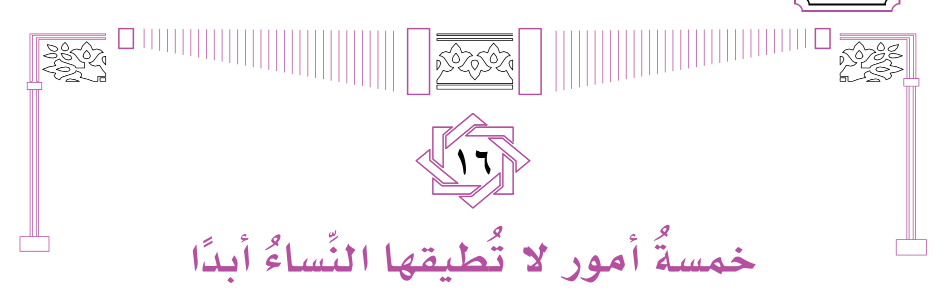
٤ ـ فقدانُه للحب والمودة، وشعُورُه بعدمِ الْمُبالاةِ به، وكثرةُ الذهاب والإياب، ومحبَّةُ غيره عليه ولو كانوا أولاده.

٥ ـ الأمراضُ العقلية أو النفسيةُ المزمنة، كالجنون أو العَتَه أو المرض النفسيِّ الْباعثِ على العدوان والأذى.

حينها يبيع ما عنده ولو كانت سيارته التي يركبُها؛ ليخرج من هذا الجحيم الذي يعيش فيه، ويتزوج امرأةً علَّه يجد عندها ما فقده.

وأكبر أسباب الطلاق والتعدُّدِ هي هذه الأسباب الخمسة ـ والله أعلم ـ.

❊ ❊ ❊



١٦

خمسةُ أمور لا تُطيقها النِّساءُ أبدًا

اعلم ـ أيها الزوج الموفق ـ أنَّ الزوجة قد تحتمل كثيرًا من الأمور التي لا تُعجبها فيك، وتتغاضى وتصبر عليها، ولكن ما لا تحتمله ولا تصبر عليه، وترى أنَّ الحياة جحيم مع وجودها هي خمسةِ أمور:

١ ـ إهانتُها واحتقارُها، وخاصَّةً أمام الآخرين، وإسماعُها الكلام الْمُقذع، والألفاظ البذيئة.

٢ ـ البخل والشح والتقتير عليها، وعلى أولادها وبيتها.

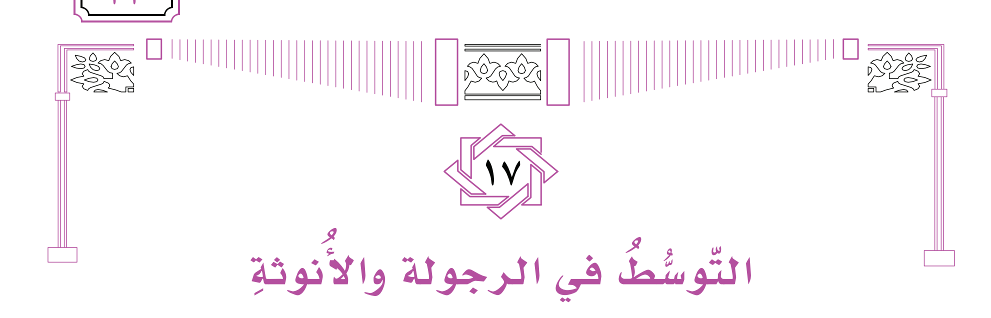
٣ ـ عدمُ الثقة بها، والشكُّ في شرفها وعفَّتها، وحرمانها من الذهاب لحاجاتها من أجل ذلك.

٤ ـ كثرةُ تنقُّصها، وتفضيلُ غيرها عليها ـ وخاصَّةً ضرَّتها ـ والطامة الكبرى: إقامةُ علاقةٍ مع غيرها بطريقةٍ غيرِ شرعية، نسأل الله السلامة والعافية.

٥ ـ الأمراضُ العقلية أو النفسيةُ المزمنة، كالجنون أو العَتَه أو المرض النفسيِّ الْباعثِ على العدوان والأذى.

فهذه لا خلاف بين النساء في شناعتها، وعدمِ احتمالِهَا والصبرِ عليها، ولو كان على حساب طلاقها وتشتت شملها لا قدّر الله.

* * *



١٧

التّوسُّطُ في الرجولة والأُنوثةِ

إنّ صفة الرجولة عند الرجال، والأُنوثةِ عند النساء من أبرز ما جُبلوا عليه، ومن أهم مقوّمات الحياة الزوجية، بل والحياة بشكلٍ عام.

والله تعالى خلق الذكر والأُنْثَى بعنايةٍ عظيمة، وميّز كلَّ واحدٍ منهما بصفاتٍ لائقةٍ بهما، فمتى أخلّ أحدُهما بشيءٍ منها أثّر ذلك على الآخر.

فصفةُ الرجولة في الرجل لا تنفك عنه، فإنْ نقصتْ أو زادتْ سبّبت خرابًا ودمارًا في الحياة الزوجية.

وكذلك صفة الأنوثة في المرأة، متى زادتْ أو نقصت فسدت وسبّبت خرابًا ودمارًا في الحياة الزوجية.

ويُقصد بالرجولة توافر صفات الرجولة في الرجل، من شهامةٍ وشجاعةٍ وغيرةٍ وأنفةٍ وغيرها من الصفات الحسنة.

ويُقصد بالأُنوثةِ توافر صفات الأنوثة في المرأة، كالحياء واللين وخفض الصوت وغيرها من صفات الأنثى التي جُبلتْ عليها.

وإذا كان الزوجُ مُتَّصِفًا بصفات الرجولة دون إفراطٍ أو تفريط، وكانت المرأةُ مُتّصفةً بصفات الأُنوثة دون إفراطٍ أو تفريط، فإنّ حياتهما ستكون أفضل وأحسن حياةٍ بإذن الله تعالى.

وإنما خراب الحياة الزوجية والبيوت من الإخلال بهاتين الصفتين:

- إمّا بإفراطِ الرجل بصفة الرجولة أو تفريطِه بها.

ـ وإما بإفراطِ المرأةِ بصفة الأُنوثةِ أو تفريطِها بها.

ومن أمثلةِ الإفراط في الرجولة:

١ ـ عدمُ احتمال الخطأ من المرأة، ظنًّا منه أنّ خطأها يهزّ رجولته وقوامته.

٢ ـ عدمُ خروجها ولا إدخال أحد في بيتها إلا بإذن منه في كلّ الحالات.

٣ ـ المبالغةُ في الغيرةِ، والغيرةُ هي من أعظم صفات الرجال، لكنّ المبالغة فيها تُصيبُ من حوله بالنكد والعذاب، وأصابتها بالوسوسة والقلق.

فهناك مَن منع زوجته من تقبيل محارمها من الرجال بسببِ الغيرة الْمُفرطة، ومن امتنع من الذهاب مع زوجته وأهله لشراء حاجيَّاتهم من السوق، أو الخروج بهم للنزهةِ وغير ذلك إلا في أمكنةٍ بعيدةٍ مُوحشة، بدعوى حجبها عن أعين الناس ـ مع لبسها الحجاب الشرعي الكامل ـ وبعضهم لم ير أحدٌ عباءتها، حيث يُدخل السيارة داخل البيت فيُركب أهله، مُبالغةً في ستر شخصها وهي مُحَجبة، وكأنّ ظاهر عباءتها أصبحتْ عورةً!.

وبعضهم يمنع أهله من حضور المناسبات المهمة لها بسبب ذلك.

قال الشيخ محمد رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥]: وقوله: ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عَلَيْهِنَّ بِإِتْيَانِهَا، ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾؛ أَيْ: فَاحْبِسُوهُنَّ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَامْنَعُوهُنَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا عِقَابًا لَهُنَّ، وَحَيْلُولَةً بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْفَاحِشَةِ، وفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيم إِمْسَاكِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ، وَمَنْعِهِنَّ الْخُرُوجَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالَةِ لِمُجَرَّدِ

الْغَيْرَةِ، أَوْ مَحْضِ التَّحَكُّمِ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِتْبَاعِهِمْ لِأَهْوَائِهِمْ فِي ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ. اهـ[(١)].

ومن أمثلةِ التصرفاتِ البعيدةِ عن كمال الرجولة:

١ ـ التدخل في خصوصيّات الزوجة مع أسرتها وأهلها، وكذلك تدخّله في خصوصيّات بناته مع أزواجهنّ أو غيرهم، فربما أدّى تدخله إلا تأجيج المشكلة، والرجل السويّ لا يعمل مثل هذا.

٢ ـ وقوفُ الزوجِ مع زوجته، والأخ مع أخته، والأب مع ابنته، حينما تحدُث خلافاتٌ بين النساء بسبب الأولاد أو الغيرة أو سوء التفاهم، فربما زادوا بتدخلهم الطين بِلّة، والْمُصيبةَ بليَّةً، والجرحَ اتِّساعًا.

ووقوفُهم محلُّ تُهمةٍ عند الخصوم، مهما كانتْ أمانةُ ومكانةُ الذي وقف ودافع عن قريبته ـ إلا من شاء الله ـ.

فينبغي في هذه الحالةِ ألا يتدخّل الرجل مُباشرةً في دفاعه عن زوجته أو ابنته، ولو لاح له الحق واضحًا معها، ولكنْ يَكِلُ الأمر إلى طرفٍ آخر غيره، ممَّنْ له خبرةٌ ودينٌ وعقل، فيستقصي الأمر، ويجمع بين النساء الْمُختصمات، فيُصْلح بينهنّ.

واعلمْ أيها الرجل: أنَّ العاقل والحكيم لا يُعرف إلا عند حلول المصائب التي تطيش منها عقول الجهال والحمقى والضعفاء.

فكنْ عند الْمُصيبةِ في غاية الحلم والأناة والترويّ، واحذر من الطيش والعجلة؛ فإنها تُؤدي إلى المفاسد والأضرار غالبًا.

أيها الرجل، قد يُقبل أنْ تكونَ المشكلةُ من النساء؛ لأنهنّ ناقصاتِ

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

عقلٍ ودين، ولكنْ كيف يسوغُ أنْ تكون المشكلةُ الأُسريةُ من قِبَلِك، وأنت إلى رجاحةِ العقل أقرب؟.

فالرجل قد أعطاه الله تعالى رجاحةً في عقله، مقابل النقصِ في عقل المرأة، ليس ليفخر به، فهذا نقصٌ وحمق وسفه، بل ليُعْمِلَ رجاحةَ عقله مع ما نَقَصَ مِنْ عقلها؛ ليستعين به في علاج نقصها، وتعديلِ اعْوجاجها.

فأكثر النساء من طبعهن القيل والقال، والعجلةُ وقلَّةُ الحكمة في الغالب، فإن لم يتعامل الرجل الراجحُ العقل بحكمةٍ ورويةٍ مع تصرفاتهنّ الناشئةِ من قلة عقولهن وضعفهنّ، فما ميزةُ رجحانِ عقله حينئذ؟.

٣ ـ اللين والتسامح المفرط، فالرجل من أعظم صفاته الحزم، وتأديب المخطئ، فإذا كان ضعيفًا غير حازم مع أخطاء أولاده وأهله، فقد نقصت رجولتُه وأهليّتُه للقوامة والرعاية، فإذا كان كلٌّ من الزوجين على هذا الطبع فسد البيت فسادًا عريضًا.

٤ ـ عدمُ الغيرة، ممّا يُؤدي إلى التبرج والسفور، وقد تنشأ علاقاتٌ مُحرّمةٌ تُؤدّي إلى المشاكل والخلافات الكثيرة.

وانْعدامُ غيرة الرجل على محارِمِه صفةٌ مهينةٌ، وقد يتدرّج به الشيطانُ حتى يُصبح ديُّوثًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ومن أمثلةِ الإفراط في الأنوثة:

١ ـ عدمُ المطالبة بالحقوق، والخوف من غضب الزوج أو الأهل.

٢ ـ اللين المفرط مع الأبناء، وحتى مع الزوج صاحب الأخطاء الكثيرة، والسفاهة الوقحة، فاللين مع هؤلاء يُجرّئُهم على غوايتهم.

٣ ـ المبالغة في الغيرة، وهو مرضٌ يهدّد كيان الزوجيّة، وهناك من طلبت الطلاق من زوجها لأنه تزوج عليها لطلب الولد، مع العلم بأنها

عقيمٌ! فحاول أنْ يُثنيها عن رأيها فامتنعت، فطلقها وهي من أحبّ الناس إليه، وقالت له: أنا أحبك ولكن لا أستطيع أعيش وعندك امرأةٌ غيري، فآثرت أنْ تعيش لوحدها ولا تعيش مع زوجها الذي تُحبّه! وهذا من تسويلِ الشيطان وإملائِه نعوذ بالله منه.

ومن أمثلةِ التفريط في الأنوثة:

١ ـ الصراخ ورفع الصوت بشدّة.

والحياءُ أهمّ صفات المرأة التي تملك بها قلب الرجل، وتحفظ بها عرضه وودّه، فالمرأة الحيّيةُ وصاحبة الأنوثة والوداعة تأسر قلب الرجل، وخاصةً حينما تشعره برجولته معها.

أما المرأةُ التي يقلّ حياؤها، وتغضب وتصرخ كثيرًا ولا تُبالي بِمَنْ حَوْلَهَا، فلا تتردد في الدخول في رفع صوتها على زوجها أو أيٍّ أحدٍ تُخاصمه ولأيٍّ سببٍ كان.

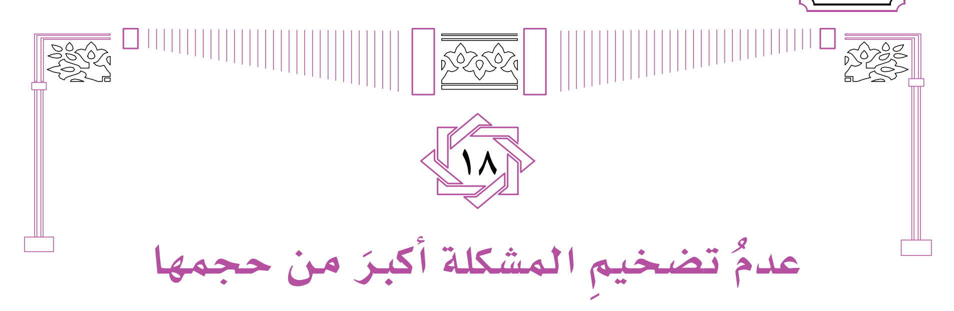
٢ ـ الأنفةُ من الاعتذار وطلب المسامحة.

٣ ـ الصّراحة دائمًا وعدم المجاملة والْمدارة.

٤ ـ الشدّة والحزمُ وعدمُ اللين والرفق.

فهذه صفاتٌ تُنافي أُنوثةَ المرأةِ، وتُفقدُها رونَقَها عند زوجِها.

❊ ❊ ❊



١٨ عدمُ تضخيمِ المشكلة أكبرَ من حجمها

كم من مُشكلةٍ صغيرةٍ بين الزوجين أصبحتْ مُعضلةً ومُصيبة، بل أكثر المشاكل والخلافات كانت تافهةً وصغيرةً في بدايتِها وأصلها، ولكنَّها تضخَّمتْ وعظُمتْ بسبب قلةِ الحكمة في مُعالجتها.

بل إن بعض الأزواج والزوجات قد يختلق مشكلةً مِنْ لا شيء، إما بسوء ظنِّه، أو لاستماعه لطرفٍ دون آخر، أو لِحُكْمِهِ على أحدٍ دون أن يسمع منه.

فالعاقل يستطيع إذا حصلتْ مُشكلةٌ أنْ يحصرها لئلا تكبر وتعظم، ويُبادرَ في علاجها لا تَهْيِيجِها.

ومن أهمّ الأسباب في حصر المشكلة وتصغيرها:

١ ـ اللجوءُ إلى الله تعالى، وسُؤالُه العون على حلها وإنهائها.

٢ ـ الاستشارة، وذلك بأنْ يستشير من حصلتْ له مُشكلةٌ عاقلًا مُجرِّبًا، عارفًا حكيمًا.

الرأيُ كالليلِ مُسْوَدٌّ جوانبُهُ ... والليلُ لا ينجليْ إلا بإصباحِ
فاضممْ مصابيحَ آراءِ الصِّحابِ إلى ... مِصباحِ رأيِكَ تزددْ ضوءَ مصباحِ

٣ ـ أنْ يبحث عن ثقةٍ ناصحٍ لِيَبوح له، ويبثّ له همَّه وما حصل له، فإنَّ البوح من أعظم ما يُخفف الْمُصيبة، ويُزيلُ أثَرَها من القلب.

تقول إحدى النساء: كثيرًا ما أُصاب بهموم ومشاكل زوجيَّةٍ وأُسرية، فأُبادرُ إلى الاتصال بإحدى الأخوات فأبثُّ لها مُشكلتي، ولا

أُفكر بأحدٍ غيرِها لِمَا كانت تتميَّزُ به من حُسن الاستماع والإنصات، فلا تزيد على نُصحي بالصبر والاحتساب، فما إنْ أُغلق السماعة إلا وقد ذهب جميع ما أجده، بل وأجد ضميري يُؤنبني خشية أنْ أكون قد اغتبتُ مَنْ وجدْتُّ عليه، فإذا قابلتُه طلبتُ منه أنْ يُسامحني ويُحلِّلني!.

٤ ـ الأناةُ والرفق، وتركُ العجلة، والبعدُ عن التهوّر، والتفكيرُ بتعقُّلٍ في الخطوات التي سيتخذها.

٥ ـ عدمُ نشرِ الخبر، وذكرِه في المجالس.

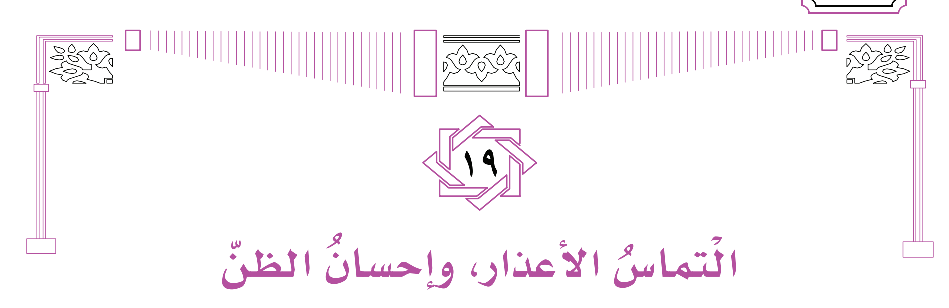
٦ ـ أنْ يُهوّنها في نفسه، وألا يُفكر فيها مليًّا، وهذا من أهمّ الأمور في علاج المشاكل والهموم وضغوط الحياة.

والواقع أنَّ أغلب الأخطاء ـ مهما عظمت في نظرنا ـ هي عند التجرد والتعقل ليستْ بالحجم الذي نشعر به وقتَ حصولها، ولكنْ لأن الشيطان وقتها مشغولٌ بتهويلها وتضخيمها، وتذكيرِه بسوابق قديمةٍ لصاحب الخطأ، فلا يكاد يرى الخطأ إلا أكبر من الجبل، وأمرّ من الحنظل.

٧ ـ أنْ يجعل هناك احتمالًا أنْ يكون الخطأ منه، ولو بنسبةِ ١٪، ولْيلْتمس العذر ويُحسن الظن[١].

* * *

(١) يُنظر: «بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأسْبَابُ والْعِلَاجُ» للكاتب (ص١٣٤).



الْتماسُ الأعذار، وإحسانُ الظنّ

ما أحوجنا لِحْسنِ الظنّ بالآخرين، والْتماسِ الأعذار لهم، فبِه يسلمُ القريبُ من التَّحامل على قريبه، ويسلمُ الخاطرُ من الْمُكدِّرات والْمُنغِّصات.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إذا سمعت كلمةً من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملًا[1].

وما أحسن ما قيل:

تأنَّ ولا تعجلْ بلومِك صاحبًا لعلَّ له عذرًا وأنتَ تلُوم

إذا حلَّ سوءُ الظن في النفوس، أدى بها إلى الاتهام المتعجل، وتتبع العثرات، والْتقاطِ الهفوات والزَّلات.

والكاسب الوحيدُ هنا هو إبليسُ نعوذ بالله منه.

ومَن ابْتُلي من الأزواج بهذا الدّاء الخطير فعليه أنْ يأخذ بالأسباب التي تجنِّبه وتُخلِّصه منه، وهي كما يلي:

أولًا: أنْ يدعو اللهَ دائمًا بألَّا يجعل في قلبه غلًّا للذين آمنوا، فسوء الظنِّ هو أعظمُ أسباب الغل والحقد على الناس.

ثانيًا: أنْ يُصارح مَن وجد في نفسه عليه، أو اعتقد فيه أمرًا يُضايقه، فالْمُصارحةُ تُزيل آثار الحقد والغل، والظَّنِّ والوهم، فكم مِنْ

(١) «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٧/ ٥٢٥).

إنسانٍ ظنَّ بأحدٍ ظنًّا سيِّئًا، فلمَّا صارحه بذلك تبيَّن لهُ أنه واهمٌ في ظنِّه، فارْتاح فؤاده، ونجا من الإثم جرَّاءَ ظنِّه، وَقَطَعَ على الشيطانِ وساوسَه التي يقذفها في قلبه، فتُؤرِّقَه وتُوجد عنده سوء الظنّ.

ثالثًا: أنْ يُحسن الزوج الظنَّ بزوجته، وتُحسن هي الظنَّ بزوجها، ولا يُشغلَا أنفسهما بمقصد الطرف الآخر ونيَّته، ولْيُفَكِّرْ كلّ واحدٍ منهما طويلًا قبل أن يَحكم أو يَتَّهم، ولئن تُخطئ بحسن الظن أهونُ من أن تُخطئ بالتسرع بسوء الظن.

رابعًا: أنْ يلْتمس المعاذير، ويتركَ تتبعَ العورات، واقْتناصَ الزلات.

خامسًا: أنْ يدعو لمن ساء ظنُّه به، وأنْ يُحسن مُعاملته معه، قال العلامةُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى: وإذا خطر لك خاطر بسوءٍ على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاتِه وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك الخاطرَ السوءَ خوفًا مِن اشتغالك بالدعاء. اهـ[(١)].

وبعضُ الأزواج عنده إفراطٌ ومُبالغةٌ في توجُّسِه وإحساسه، إنْ سمع كلمةً لا تُعجبه حملها في خاطره، وإن مُوزح أو نُوصح اعتبره تنقُّصًا في حقِّه.

فليس بين الأزواج حساسيةٌ[(٢)] مُفرطة، ولا تفسيراتٌ وتحليلاتٌ غريبةٌ فيما يحدث بينهما، بل لا بدّ أنْ يسود بينهمُ البساطةُ وحسنُ الظن.

وإذا ابْتُلي أحد الأزواج بهذا الدّاء العضال، فإن حياته وحياة شريكه غالبًا ما تتنكّد، وعلاج هذا الداء بأمور منها:

---

(١) «حقوق الصديق وكيف تتعامل معه» للكاتب (ص٧٠).

(٢) الحساسية تُطلق على معانٍ منها: غَلَبَةُ الوجعِ في الْمَشَاعِرِ، وشدَّةُ الإحساس في الخواطر، وتأتي بمعنى شدَّة الرِّقةِ.

١ ـ إحسان الظن والْتماسُ الأعذار، فمهما رأى أو سمع من صاحبه شيئًا لا يُعجبه، فليُحسن الظن بأنه ما قصد إلا خيرًا.

٢ ـ التغافل وعدمُ التدقيق في كلّ شيء، وهذا التصرف يدل على كمال العقل، وشرف النفس، وفطنةٍ وذكاء؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيءٍ إلَّا وقد عرفه وفطن له، قال الشاعر:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيد في قَوْمِهِ   لكنَّ سيِّد قومهِ المُتغابي

وأكثرُ الأُمور تَمشي على التَّغافل والإغضاء.

قال أكثم بن صيفي: من تشدَّد نَفَّر، ومن تَرَاخى تألَّف، والسِّرُّ في التغافل.

وقد قال الْحُكماء: تَعَايَشَ النَّاسُ مِلْءَ مِكْيَالٍ، ثُلُثَاه فِطْنةٌ وثُلُثَه تَغَافُلٌ.

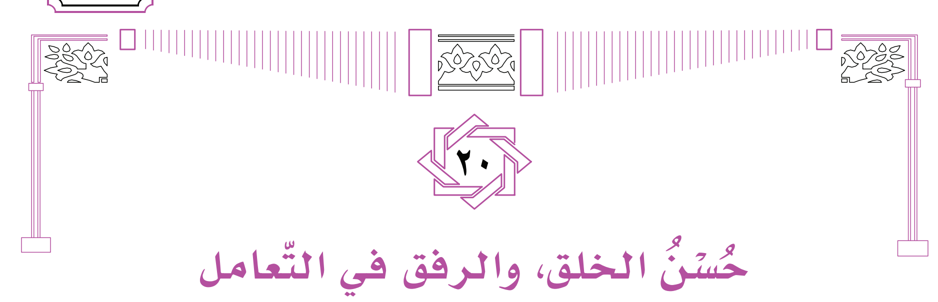
والعرب تقول في أمثالها: الاستقصاء فرقة.

أي: أنّ التحري والتحقّق في الأمر جملة وتفصيلًا، يُسبب الفرقة والقطيعة.

ولْيتعلّم الأزواجُ خلق التغافل من معلم البشريّة محمد ﷺ، حين أسَرَّ لإحدى زوجاته حديثًا، وأمر أن لا تخبر به أحدًا، فحدثت به عائشة رضي الله عنها، فأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفَّها ﷺ، ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرمًا منه ﷺ، وتغافلًا عن ذكر البقية.

وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

* * *



٢٠

حُسْنُ الخلق، والرفق في التّعامل

إنَّ للأخلاقِ في دينِنا الحنيفِ مكانَتَها السنِيَّةَ، ودرجتَها السامِيَةَ العليَّةَ، فهِيَ حَجَرُ الزاوِيَةِ في بناءِ المجتمعاتِ، والأساسُ المتينُ في نَشْأَةِ الحضاراتِ، وقُطْبُ الرَّحَى في تزكيةِ النفوسِ الأبِيَّاتِ، وهِيَ دعوةُ الأنبياءِ والمرسلينَ، وزِينةُ عبادِ اللهِ المؤمنينَ، وريحانَةُ المتقينَ، وحِلْيَةُ الصالحينَ.

وقَدْ دعا الإسلامُ إلى كُلِّ خُلُقٍ كريم، ونفَّرَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَميم، فرَبَّى أتباعَهُ علَى الأخلاقِ الحميدةِ، والآدابِ المجيدةِ، وسَما بِهِمْ إلَى الأفعالِ الرشيدةِ، والأقوالِ السديدةِ، فكانَتْ هذِهِ الأُمَّةُ أمَّةَ الأخلاقِ والقِيَمِ، ورمزَ العِزَّةِ والشِيَمِ.

وإنَّمَا الأمـمُ الأخـلاقُ ما بقيَتْ ... فإنْ هُـمُ ذهبَتْ أخلاقُهـم ذهبُوا

قال بعضُ السلف: لكلِّ شيءٍ أساس، وأساسُ الإسلام: الخلق الحسن[1].

وسوءُ الخلق بلاءٌ عظيم، وشرٌّ مُستطير، يعيشُ صاحبه في همٍّ ونكد، ويَشقى به أهلُه وجيرانُه وغيرهم.

قال أبو حازم رحمه الله تعالى: السيّئُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٥٥).

بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه[(١)].

نعم هذه حال سيِّئ الخلق: فإنَّ نفسَه التي بين جنبيه لا تُطيقه، فهو في همٍّ وغَمّ، عابسُ الوجه، قليلُ التَّبسم، كثيرُ النقد، شديدُ الحقد.

والرحمةُ والرفق واللينُ في التعامل من أعظم أساسيَّاتِ الأخلاق، وهي من أهمّ أسباب الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، قال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم[(٢)].

فالرفق في كلِّ شيءٍ يَزينُه ويُصلحه، حتَّى في حال الغضب والعتاب، واللومِ والعقاب، وهذا يدل على أنه من أفضل ما تحلَّى به العبد، واسْتعمله في أموره كلِّها.

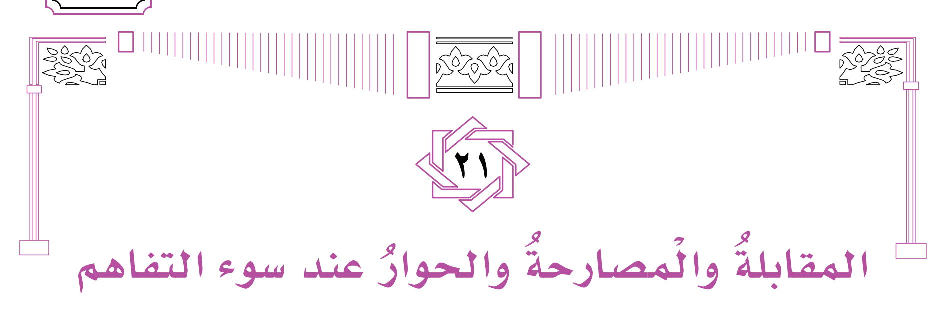
والرِّفق: لين الجانب بالقول والفعل، والأَخذُ بالأَسهل، وهو ضد العنف، وهو الشدة والقسوة، فصاحب الرفق يدرك حاجته أَو بعضها، وصاحب العنف لا يدركها، وإِن أَدركها فبمشقة، وحريٌّ ألا تتم[(٣)].

وانْعدامُ الرحمة، والمعاملةُ بالحزم والقسوةِ: من أخطر ما يُهدِّد كيان الحياة الزوجيّة، ويحل رباطها، ويُشتِّت شملها.

إنَّ أخطر الجرائم الزوجيّة، من قتلٍ وضربٍ وقطيعةٍ، لم تكن لِتَحدثَ لولا اتِّصافُ أحدِ أفرادها بهذا الخلق الشنيع.

❊ ❊ ❊

(١) السير «تهذيبه» (١/ ٦٣٧).
(٢) (٦٧٦٧).
(٣) «كَيْفَ تُرَبِّيْ أَبْنَاءَكَ» للكاتب (ص٥٤).



٢١
المقابلةُ والْمصارحةُ والحوارُ عند سوء التفاهم

إنّ أفضل طريقٍ لقطع دابر الشر والفتنة بين الزوجين: جُلوسهما مع بعضهما وجهًا لوجه، بهدوءٍ وتفاهم.

والمشكلة أن أكثر الأزواج والزوجات لا يَجِدون متسعًا من الوقت أو من الصبر في الاستماع والإنصات لبعضهم، كي يتعرفوا على ما في نفوسهم وخواطرِهم، ويَفْهَموا طبيعة مشاعرِهم وهمومهم، فلا بد أنْ يُجاهد الزوجان أنفُسهما على أنْ تتمرَّن على فنِّ التعامل مع الآخر، وعلى التعاطي معهم بالأسلوب الأمثل، والتعامل الأفضل.

ويجب البعدُ عن المراسلةِ وعن الْمُكالمة، فالْمُكالمةُ قد لا تُعالجُ المشكلةَ؛ لأنَّ الإنسانَ قد يَجْتَرِئُ في الكلامِ حال عدمِ المواجهة.

وأما المراسلات بالجوال ونحوِه، فهذه ضررها قد يكون أكثرَ من نفعها، وكم تأزَّمتِ الأمور برسالةٍ قُصد بها الإصلاحُ أو العتاب.

وفي هذه الجلسة الودّيّة يُبدي كلّ واحدٍ ما يُلاحظه على الآخر، آخذين بالمنهج الصحيح في الحوار والإنصات للمتكلّم، وهذه الآداب هي:

١ ـ الإنصات والاستماع التام لأقوال ووجهات نظر الآخر..

٢ ـ عدمُ مُقاطعة المتحدث والْمُحاور..

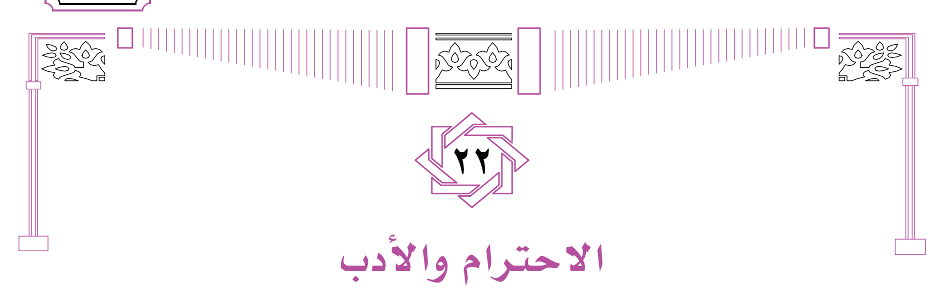
٣ ـ سؤال المتحدث بكل أدب ولطف هل فرغ من حديثه أم لا؟ لأن المتحدث إذا لم يُكْمل حديثه لن يكون منصتًا جيدًا، ومستمعًا

صحيحًا، بل ينتظر متى يكمل الآخر حديثه، حتى يكمل هو حديثه.

٤ ـ الرد على الخصم والمناقِش بالرد الحسن الذي ليس فيه سب أو شتم أو تجريح؛ لأن الهدف من الحوار والنقاش ليس الانتقام والتشفي، بل إقناع الطرف الآخر، أو على الأقل أن يفهم وجهة نظره، سواء قبلها أم لا.

٥ ـ الاختصار في النقاش، وعدمُ الإسهاب الممل في عرض وجهات النظر، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

❊ ❊ ❊



٢٢ الاحترام والأدب

إنَّ الاحترام والأدب مع الناس من أعظم ما يجلب المودة والمحبة، ويزرع في القلوب السعادة والألفة، وإن الرجل بلا احترام، يكون بغيضًا ثقيلًا بين الأنام، ويرتكب بسبب ذلك الأوزار والآثام.

رأيتُ العزَّ في أدبٍ وعقلٍ   وفي الجهل الْمَذلّةَ والهوانا

ولن يصفو لنا أحدٌ مهما قرب منَّا بغير الاحترام والأدب معه، حتى أولادنا وأزواجنا، فكيف بالبعيدين منَّا؟.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبَواره. فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب(١). اهـ.

إنَّ الاحترام والأدب في أقوال وتصرفات الأقاربِ بعضِهم مع بعضٍ ينبغي أنْ يكون هو الأساسُ والأصل، مهما قويت وتقادمتِ العلاقة، ووُجدتِ المودَّة، وكثيرٌ من الناس لا يُراعي ذلك مع أقربائه، وإنما مع الغرباء، وهذا من العجيب!(٢).

فحريٌّ بنا أنْ نُعامل الناس بغاية الأدب والاحترام واللباقة، وبخاصّةٍ الزوج مع زوجته، والزوجةُ مع زوجها.

وصورُ قلَّةِ الاحترام والأدب بين الأقارب وغيرهم كثيرةٌ منها:

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).
(٢) «إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد» للكاتب (ص٨٠) بتصرف.

١ ـ الاستهتار والاحتقار، وإطلاقُ الكلماتِ التي فيها تنقُّصٌ ولمز.

٢ ـ إخلاف الوعد، وعدم القيامِ بما اتفقوا عليه.

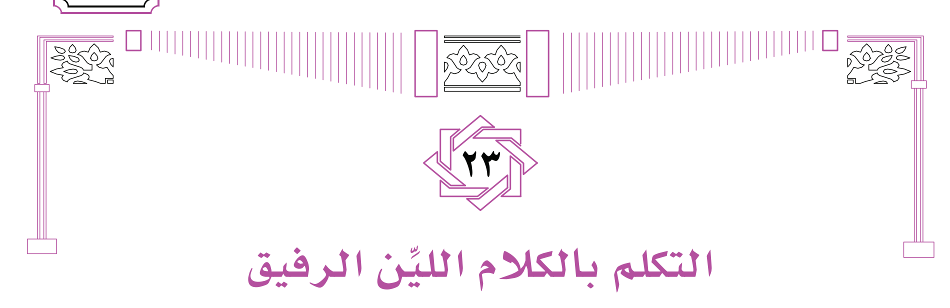
٣ ـ مُقاطعةُ الْمُتحدث من دون حاجةٍ لذلك، أو إخباره بأن ما يقوله من خبرٍ أو قصةٍ معروفةٌ لديه.

٤ ـ المزاح الثقيل، والمزاح في غير وقته.

٥ ـ عدمُ البشاشة والابتسامة له، والسلامُ عليه ببرودٍ أو تعبيس.

٦ ـ عدمُ الاعتداد بآرائه واقْتراحاته، وتقديمُ غيره عليه دائمًا.

❊ ❊ ❊



٢٣
التكلم بالكلام الليِّن الرفيق

ما أورد الكثير من الناس في المهالك، ولا أوقعهم في رديء المسالك، ولا حصلت القطيعة والفرقة إلا بسبب بذاءة اللسان.

تعاهد لسانك إنَّ اللسان سريعٌ إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد يَدلّ الرجال على عقله

إنَّ الإنسان إذا كانتْ كلماتُه جافَّة، وحديثُه خالٍ من العبارات اللينة الجميلة: لا يكون محبوبًا مألوفًا، ولا تُرغَبُ مُجالستُه، ويُملُّ الحديثُ معه.

هذا إذا لم يُضف إلى ذلك وقاحةً وسبًّا وغلظة، فيكون حينها أبغض.

ولْنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

ما أعظم وأرفع تعاليم الإسلام، وما أحسن وأنفع توجيهاتِ الملكِ العلَّام، فالله تعالى الذي خلقنا، ويعلم ما يُصلحنا وينفعنا، لم يأمرنا ويحثنا على أن نقول للناس والآخرين الكلام الحسن فحسب، بل أمرنا بأن نقول أحسن وأنفع الكلام، حتى لمن يُخالفنا ويُخطئ علينا!.

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذلك في غير ما آيةٍ من كتابه الكريم، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال عطاء رحمه الله تعالى: دخل في هذه الآيةِ اليهودُ والنصارى، فكيف بالمسلم؟!.

بل إن طيب الكلام حتى مع الأعداء مطلوب؛ لأنه سببٌ في إطفاء الخصومة، وإخماد الغضب، مما يقرب القلوب، ويذهب غيظ الصدور ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

إنَّ الكلمة الطيبة: تغسل الضغائن والأحقاد والظنون السيِّئة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو تلقى أخاك بوجه طلق**»(١).

وإنَّ الكلام القاسي الغليظ لهو من أعظم ما يُنفر الناس عنك، ويُبعدك عنهم، ويَجعلك بغيضًا ثقيلًا على قلوبهم.

هل هناك أحدٌ أحبُّ وأكرم إلى الصحابة مِن رسول الله ﷺ؟ لا والله. بل إنهم يفدونه بأرواحهم وقلوبهم وأولادِهم.

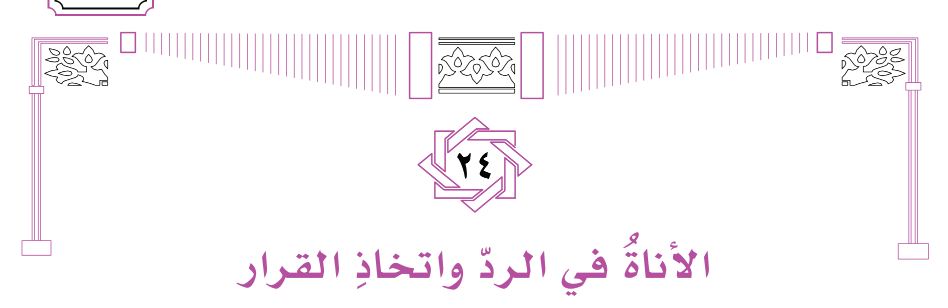
ومع ذلك قال الله تعالى في حقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي: لو كنت سيِّئَ الكلام، قاسي القلب عليهم: لانفضوا عنك وتركوك، وذهبوا عنك وهجروك، ولكن الله جمعهم عليك، وألانَ جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، ورحمةً بهم.

فكيف نرجو ونأمل أن يحبنا الناس، وأن يقترب منَّا أبناؤنا وأزواجنا، ونحن نعاملهم بألفاظٍ غليظة، وعبارات قاسية؟(٢).

فلْيَتعاهد الأزواج والزوجات على هذا الأمر، ولْيُعوِّدوا أنفسهم الحديث مع بعضهم بالكلام اللطيف، والعبارات اللينة الجميلة، فحينها تتآلف قلوبهم، وتصفوا خواطرُهم.

* * *

(١) رواه مسلم (٦٨٥٧).
(٢) «إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد» للكاتب (ص٨٥) بتصرف.



٢٤
الأناةُ في الردّ واتخاذِ القرار

الأناةُ والتروي، وعدمُ العجلةِ في الردِّ واتخاذِ القرار مِنْ أعظم سمات العاقل الحكيم، وهي من أهمّ أسباب دَرْء الخلافات والمشاكل الزوجيّة.

وانْعدامُها سببٌ للكوارثِ الكبيرةِ، والمشاكل الخطيرة.

فلا بد من التفكير طويلًا في كيفية التعامل مع الخطأ الذي يصْدرُ من أحد الزوجين.

وما أجمل حكْمةً قالها الحسنُ البصري ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول، رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإنَّ الجاهل قلبه في طرف لسانه، لا يرجع إلى قلبه، ما جرى على لسانه تكلم به.

نعم! الحكيم حقًّا هو الذي لا يستعجل في الردّ والكلام، ولا يكون جوابه وردُّه على طرف اللسان، فكم نَدِمَ بعض الْمُتعجِّلِين ندمًا شديدًا بسبب عجلته، وقلَّة صبره، فإنه لو صبر وتفكر في الرد والجواب المناسب لتكلَّم بكلام ينفع ولا يضر.

ما إنْ ندمتُ على سكوتي مرَّة ولقد ندمتُ على الكلام مرارا

والإنسان لا يندم في التروِّي والحلم، ولكنه كثيرًا ما يتجرَّع الندم والألم بعجلته ومُبادرته في الرد والسبّ.

فداويتُه بالحلمِ والمرءُ قادرٌ على سَهْمِه ما دام في كفِّه السَّهْمُ

كثيرًا ما يحدث ما يُكدر الخاطر، ويُهيج الغضب، فيشعرُ الإنسانُ بدافعٍ يدفعهُ للردّ بعنفٍ على قريبه، وإسكاتِه وإغضابه، ولا يُفكر في تلك اللحظة في عواقب فعله وغضبه، فيندم بعد ذلك، ويُحدث في القلب جُرحًا يصعُبُ علاجُه.

والسكوت قد يكون أعظم دواءٍ لكثيرٍ من الحالات والتصرفات السيّئة، ولذلك نرى كثيرًا ما يلتزم نبيُّنا وقدوتنا ﷺ الصمتَ، عندما يرى أو يسمع ما لا يُعجبه.

فإذا سمع الزوج من زوجته ما يُغضبه فلْيسكتْ سكوتًا يُشعرها بسماع كلامها، وعدمِ رضاه عنه، فإنّ سكوته يعني لها الشيء الكثير، وربما لو تكلمْتَ ـ ولو بغضبٍ ـ أخفّ عليها من سكوتك.

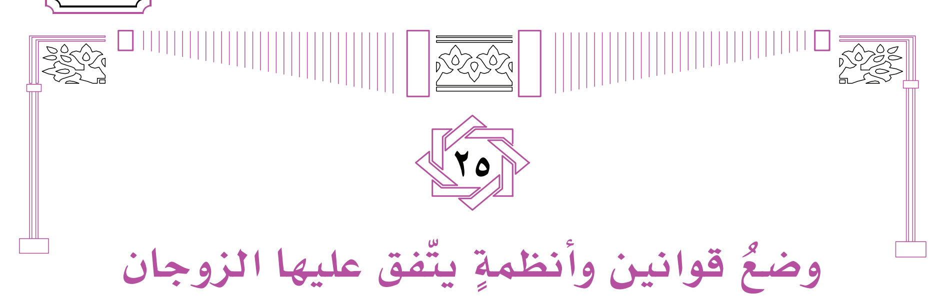
وكذلك تنبغي أنْ تسكت الزوجة حينما ترى أو تسمع من زوجها ما يُكدّر خاطرها، ويُضيّق صدرها، فالرجل العاقل يندم أشدّ الندم ـ إن كان مُخطئًا ـ حينما يرى هذا السكوت اللطيف، ولا يلْبث أنْ يعتذر أو ينثنيَ عن تصرّفه وفعله.

ولا يعني ذلك الكتمان والسكوتُ مُطلقًا، فكتمان ما بخاطره قد يتراكم حتى يصل إلى مرحلة الانفجار، فيحدث ما لا تُحمد عُقباه.

ولكنَّ المطلوبَ أنْ يتحكم في نفسه، ولا يصدرَ منه ما لا ينبغي، فلا يردّ بكلامٍ فظٍّ قاسٍ، بل يُجيبُ خصمَه ويردُّ عليه بحكمةٍ ورويَّةٍ، بدون عَجَلَةٍ أو كلامٍ بذيءٍ.

ولم أرَ في الأعداءِ حين اخْتَبَرْتُهُم عدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِن الْغَضَبِ

* * *



٢٥

وضعُ قوانين وأنظمةٍ يتّفق عليها الزوجان

لا بد أن تكون هناك قوانين في بيوتنا للحدّ من ارتكاب المخالفة من الزوج أو الزوجة، وأنْجَح القوانين هي التي يشترك في وضْعها الزوجان جميعًا، وتكون محل اتفاقٍ بينهما، وحبذا لو اشْترك الأولاد ببعضها.

والكلام الهادئ، والحوارُ البنَّاء من أهمِّ الأساليب في وضْع الاتِّفاقات.

وتكون معقولةً ومنطقية وثابتةً، لا تخضع للأهواء والمزاج الشخصي، كأن نرضى بمخالفة ما اتَّفقنا عليه عندما نكون فرحين، ونُصِرُّ عليه عندما نكون غاضبين.

وكلُّ بيئةٍ لا تخضع لقوانين وأنظمةٍ فإنها ستكون فاشلةً وعشوائية، فقد يغضب الزوج ويصرخ على زوجته، وهي لا تعرف السبب المقنع في هذا الصراخ والغضب!!.

وربما تكدّر خاطر الزوجة وفسد مِزاجُها على زوجها، والمسكين لا يعلم سبب ذلك.

ومن أمثلة هذه القوانين:

١ ـ في كيفية التعامل مع الأبناء، وخاصةً عند الخطأ، «وألا يُظهرا خلافَهما أمام أبنائهما، وإذا أمر الوالد ولده أو نهاه، فلا تعترض عليه أمُّه أبدًا، والعكس كذلك، فإنْ كان في الأمرِ أو النهيِ إجحافٌ في حقِّه،

فلا يكون الاعتراض والنقاشُ أمامه؛ لأنه إن اعترض أحدهما على الآخر أمامه: فإنه سيعتقد أنه على حق، وأنه مظلومٌ، ويستقوي بمن دافع عنه على الطرف الآخر.

فالزوجة الصالحة الْمُوفَّقة: هي التي تُشعر أبناءها في كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ بقدر أبيهم، وتحثُّهم على احترامه وحبه، وتَغرس في نفوسهم الشعور بما يملكه من جميل المناقب والخصال، وما يُكنُّه لهم من حبٍّ ورحمة، وأنه ما عاقبهم وغضب عليهم إلا لأجلهم ومَصلحتهم.

والأبُ في أمسِّ الحاجةِ لكي يظفر بصداقة أبنائه، وتقبُّلِهم لعقابه: إلى عطف زوجته واحترامها له، ووقوفها معه وبجانبه.

وإظهار الخلافات والْمُشادَّات أمامهم له أثرٌ خطيرٌ أيضًا على تفكيرهم وقناعتهم، فعندما يرى الابن أباه وهو يحتقر أمَّه، ويرفع عليها صوته: فإنه يعتبر ذلك الاحتقار والشدة هو الأسلوب الصحيح في التعامل مع المرأة.

وعندما ترى البنت أمها وهي تتعالى على أبيها، وتسيء معاملته، وتصرخ في وجهه: فإنه يستقر في مُخيِّلتها أن الأسلوب الصحيح في التعامل مع الرجل هو التعالي عليه، والحزم معه، وعدم اللين والتنازل عن رغباتها لأجله»[١].

فيكون الوالدان هما السببُ الرئيسيُّ، في فشل الحياة الزوجيةِ لأبنائهم لا قدَّر الله.

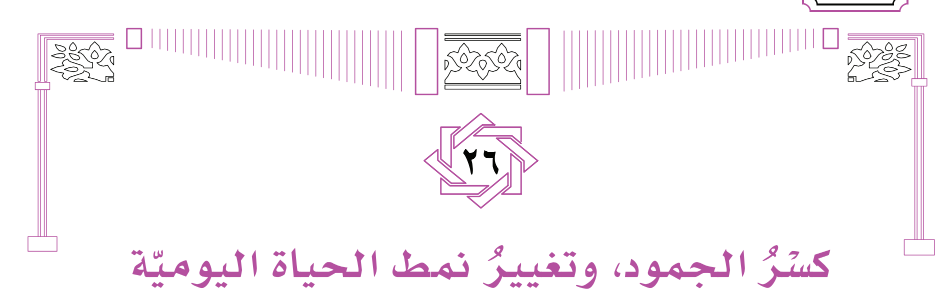
٢ ـ تنظيم أوقات الطعام والسفر والنوم.

٣ ـ منع الجوال والنقاش عند مجيء الزوج للنوم.

(١) «كيف تربي أبناءك» للمؤلف (ص١٣٢).

٤ ـ الحوار والنقاش الهادئ عند حدوث خطأ أو تصرّفٍ غير سليم، والبعدُ عن الصراخ والغضب وخاصةً أمام الآخرين.

* * *



٢٦

كسْرُ الجمود، وتغييرُ نمط الحياة اليوميّة

المراد بالجمود في الحياة الزوجيّة: أُسْلوبٌ أو نمطٌ في الحياة اليومية يتكرر.

فهو تكرار الأشياء الْمُعتادة بنفسِ النّمط.

والكثير من الأزواج والزوجات يُعانون من الجمود اليومي في نَمَطِ حياتهم.

هذا التكرار اليومي للأعمال يخلق حالةً من الْمَلَلِ والسّآمة، ويُولِّدُ لديهم شعورًا بالضيق والخمول، مِمَّا سَيُؤَثِّرُ سلْبًا على علاقتهم الزوجيّة، وراحتهم النفسيّة.

ولذلك نرى ربّنا تبارك وتعالى نوّع في العبادات والطاعات، ولم يقْتصر على عبادةٍ واحدة؛ وذلك لِحِكَمٍ كثيرةٍ منها: طرد الملل والسآمة عن عباده.

بل إنّ العبادة الواحدة كالصلاة مثلًا، فيها أوجه كثيرة مُنوّعة، كدعاء الاستفتاح والركوع والسجود وما بعد التشهد الأخير، وكذلك قراءة الآيات المختلفة في كلّ صلاة.

وكذلك نجدُ أنّ الله تعالى مَزَج مقاصد كتابِه بعضِها ببعض، من عقائد وحِكَم، ومواعظ وأحكام تعبدية وقصصيّة وغيرها، وما ذاك إلا لنفي السآمة عن القارئ والسَّامع من طول النوع الواحد منها، وتجديدِ

نشاطهما وفهمهما، واعتبارهما في الصلاة وغيرها[(١)].

ولكسر الجمود بين الزوجين عليهما بما يلي:

١ ـ الاهتمام بالرحلات الترفيهية، ولا يلزم من ذلك السفر بعيدًا، بل يكفي الخروج للنزهة في أماكن مُمتعةٍ وجميلة.

٢ ـ التنويع في إعداد الوجبات الغذائية.

٣ ـ التطوير: فيجب عليهما أن يُطوروا من أنفسهما دائمًا، وأن يكتسبا المهارات التي تعود عليهما بالنفع العاجل والآجل، واكتسابُ العلم أعظم التطوير والثقافة، وهو أهمّ سببٍ في كسر الجمود والملل.

وعدمُ الخبرة الكافية لدى الزوجين عن الزواج، وعن كيفيَّة تعامل أحدهما مع الآخر، من أعظم أسباب المشاكل والملل، بل والطلاق أيضًا.

وإنه من الأمور المفرحةِ، وجودُ دوراتٍ تأهيليَّةٍ لِلْمُقبلين على الزواج، وقد أثبتت الدراساتُ انخفاضَ نسبة الطلاق لدى الملتحقين بهذه الدورات.

وهذه الدورات تُعطي المقبلين على الزواج كيفيةَ التعامل الناجحِ بين الأزواج في إدارة الأسرة، وكيفيةَ تربية الأبناء، وحلَّ الخلافات الأسرية، بالإضافة إلى دوراتٍ مرتبطةٍ بالقضايا النفسية، مثل التوتر قبل ليلة الزواج، التي من شأنها تحقيقُ قدرٍ كبيرٍ من التوافق بين الزوجين.

فينبغي أنْ يحرص الشباب والشابّات على هذه الدورات المباركة، ففيها خيرٌ ونفعٌ عظيم.

---

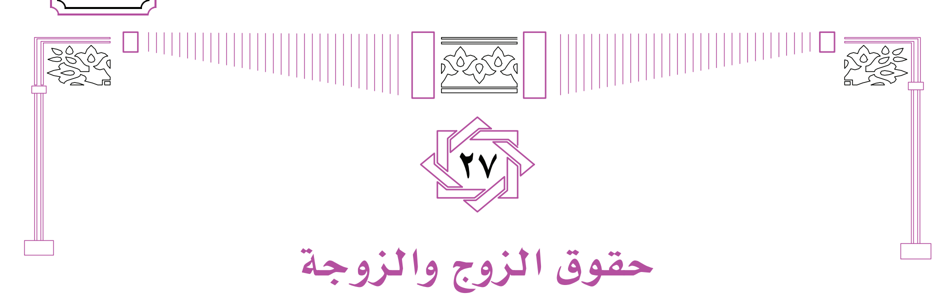
(١) يُنظر: «تفسير المنار» (٢/ ٣٩٤).

٤ ـ التواصل الاجتماعي: فمن يتواصل مع الناس بشكل رائع ويزور هذا ويجلس مع ذاك، فلن يسري إليه الملل والضجر.

في النهاية إذا وافقتما على كلامي فأحب أن توقعا على هذه الورقة لتكون مرجعًا لكما عند الخلاف والنقاش.

الزوجة	الزوج
التوقيع:	التوقيع:

❊ ❊ ❊



٢٧

حقوق الزوج والزوجة

وبعد هذه القواعد الأساسية في الحياة الزوجيّة، أتطرق إلى حقوق كلّ واحدٍ من الزوجين على الآخر.

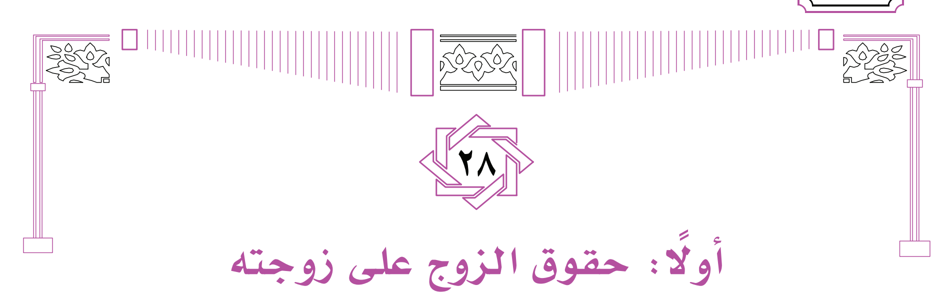
وإنَّ كثيرًا من بيوتنا تُعاني المشاكل الكبيرة العميقة، وإذا رجعنا إلى السبب الرئيسِ فيها، نجد أحد أهمّ أسبابها الخلافات الزوجية.

وأسباب الخلافاتِ الزوجيَّةِ كثيرةٌ، ومن أعظمها وأهمها: عدمُ أداءِ كلِّ واحدٍ حقَّ الآخر.

فالمرأةُ لها حقوقٌ وعليها حقوق أيضًا، والرجلُ له حقوقٌ وعليه حقوق أيضًا، فالواجب على كلِّ واحد منهما أن يعرف ما له وما عليه من الحقوق والواجبات.

وهذه قاعدة يجب الْتزامها في كلِّ مجتمع، في الأسرة والعمل، وبين الراعي والرعية، وبين الآباء والأبناء.

ولأهميَّةِ هذا الموضوعِ فسأتناولُه بشيءٍ من التفصيل:



٢٨

أولًا: حقوق الزوج على زوجته

لا شك أنَّ الله تعالى عظَّم حقَّ الزوج على زوجته[١]، وأكَّده وبالغ في ذلك، وكذلك رسولُه ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وَلَيْسَ عَلَى الْمَرْأَةِ بَعْدَ حَقِّ اللهِ وَرَسُولِهِ أَوْجَبَ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِعِظَم حَقِّهِ عَلَيْهَا**».

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لَهُ: إنَّ الرِّجَالَ يُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيفْعَلُونَ وَنَحْنُ لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**حَسُنَ تبعُّلِ إحْدَاكُنَّ يعدِلُ ذَلِكَ**»؛ أَيْ: أَنَّ الْمَرْأَةَ إذَا أَحْسَنَتْ مُعَاشَرَةَ بَعْلِهَا، كَانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِرِضَا اللهِ وَإِكْرَامِهِ لَهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْمَلَ مَا يَخْتَصُّ بِالرِّجَالِ. اهـ كلامه[٢].

وممَّا يدلُّ على تأكُّد عِظَم حق الزوج: أنَّه لا يجوز للمرأة أنْ تصوم إلا بإذن زوجِها، قال ﷺ: «**لَا يحل لامْرَأَة تؤمن بِالله وَالْيَوْم الآخر، أَن تَصُوم وَزوجهَا شَاهد إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأذن فِي بَيته إِلَّا بِإِذْنِهِ**». أخرجه البُخَارِيّ[٣].

(١) الْفَصِيحُ: اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الزَّوْجِ فِي كُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ، وَيَجْمَعُ فِي الِاسْتِعْمَالِ عَلَى أَزْوَاجٍ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ الآية (٦). «تفسير المنار» (٢/ ٣٧١).

(٢) «إقامة الدليل على إبطال التحليل» (٣/ ٤٦).

(٣) (٥١٩٥).

وَمعنى شَاهد: أَي: حَاضر غير غَائِب.

وَذَلِكَ فِي صَوْم التَّطَوُّع، فَلَا تَصُوم حَتَّى تستأذنه لأجل وجوب حَقه وطاعته.

مع أنَّ الصومَ عبادةٌ من أعظم وأجلِّ العبادات.

وحقوق الزوج على زوجته كثيرةٌ، ولكنْ من أهمّها: أنْ تُطيعه في غير معصية الله، وألا تنسى أو تجحدَ إحسانه ومعروفه، فقد ثبت في الصحيحين[١]، أن النبي ﷺ قالَ: «**أُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»، وفي روايةٍ لمسلم: «**تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جهَنَّمَ**». قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**».

تأمَّلي ـ أيتها الزوجة الموفقة ـ قوله: «**تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»؛ أيْ: تُكثرنَ وتُظهرن التشكي والتسخُّط بالعشير وهو الزوج، وتَكْتمن إحسانه، وتجحدن معروفه.

ومن حقوق الزوج على زوجته: ألا تمتنع إذا طلبها إلى الفراش، ولا يجوز لها أنْ تُظهر الضجر ولو بالكلام، ما لم يكن لها عذرٌ من مرضٍ ونحوه.

فقد ثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ[٢] أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**».

---

(١) البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٢٠٨٥).
(٢) البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

وأنْ تتواضع وتستكين له، وتبتعدَ عن الترفُّع ورفعِ صوتها عليه، وتصبرَ على حدّته وبعضِ جفائه، لتستديمَ بذلك عِشرتَه، وتستوثقَ محبَّتَه.

ولا تستقيم حياةُ الزوجين إلا بهذا، حتى مِن غير البشر، فلا نجد في طباع الإناث من الحيوانات وغيرها، أنْ تَسْتعلي وتترفَّعَ على الذكر، وأنْ تكون نِدًّا له، بل تخضع وتستكين له، وبهذا ركَّب الله تعالى طبيعة الزوجين من كلّ جنس.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. قال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى: أي: في الفضيلة في الخُلُق والمنزلة، وطاعة الأمر والإنفاق، والقيام بالمصالح، والفضلِ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. اهـ[(١)].

ومن ذلك ما قاله الإمامُ العلَّامةُ الذهبيُّ رحمه الله تعالى: «الْوَاجِب على الْمَرْأَة أَن تطلب رضَا زَوجهَا، وتجتنب سخطه، وَلَا تمْتَنع مِنْهُ مَتى أرادها، لقَوْل النَّبِي ﷺ: «**إِذا دَعَا الرجل امْرَأَته إِلَى فرَاشه فلتأته، وَإِن كَانَت على التَّنور**»[(٢)].

قَالَ الْعلمَاء: إِلَّا أَن يكون لَهَا عذر من حيض أَو نِفَاس، فَلَا يحل لَهَا أَن تجيئه، وَلَا يحل للرجل كذلك أَن يطْلب ذَلِك مِنْهَا فِي حَال الْحيض وَالنّفاس، وَلَا يُجَامِعهَا حَتَّى تَغْتَسِل لقَوْل الله تَعَالَى: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ أَي: لَا تقربُوا جماعهن حَتَّى يَنْقَطِع عَنْهُن الدَّم، فَإِذا تطهرن؛ أَي: اغْتَسَلْنَ بِالْمَاءِ[(٣)].

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦١٠).
(٢) رواه الترمذي (١١٦٠) وحسنه، وصححه الألباني.
(٣) إلا إذا كانت الْمُباشرةُ فيما دون ذلك من الاستمتاع ونحوه.

وَيَنْبَغِي لِلْمَرْأَة أَن تعرف أَنَّهَا كالمملوك للزَّوْج، فَلَا تتصرف فِي نَفسهَا وَلَا فِي مَاله إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَتُقدم حَقه على حَقّهَا، وَحُقُوق أَقَاربه على حُقُوق أقاربها، وَتَكون مستعدة لتمتعه بهَا، بِجَمِيعِ أَسبَاب النَّظَافَة، وَلَا تفتخر عَلَيْهِ بجمالها، وَلَا تعيبه بقبح إِن كَانَ فِيهِ.

وَيجب على الْمَرْأَة أَيْضًا دوَام الْحيَاء من زَوجهَا، وغض طرفها قدامه، وَالطَّاعَة لأَمره، وَالسُّكُوت عِنْد كَلَامه، وَالْقِيَام عِنْد قدومه، والابتعاد عَن جَمِيع مَا يسخطه، وَالْقِيَام مَعَه عِنْد خُرُوجه، وَعرض نَفسهَا عَلَيْهِ عِنْد نَومه، وَترك الْخِيَانَة لَهُ فِي غيبته فِي فرَاشه، وَمَاله وبيته، وَطيب الرَّائِحَة، وتعاهد الْفَم بِالسِّوَاكِ والجسم والملابس بالمسك وَالطّيب، ودوام الزِّينَة بِحَضْرَتِهِ، وَتركهَا الْغَيْبَة، وإكرام أَهله وأقاربه وَترى الْقَلِيل مِنْهُ كثيرًا.

ويَنْبَغِي للْمَرْأَة الخائفة من الله تَعَالَى، أنْ تجتهد في طاعة الله وَطَاعَة زَوجهَا، وتطلبَ رِضَاهُ جُهدها فَهُوَ جنتها ونارها، لقَوْل النَّبِي ﷺ: **«أَيُّمَا امْرَأَة مَاتَت وَزوجهَا رَاض عَنْهَا دخلت الْجنَّة»**.

وَفِي الحَدِيث أَيْضًا: **«إِذا صلت الْمَرْأَة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت بَعْلهَا، فلتدخل مِنْ أَيِّ أَبْوَاب الْجنَّة شَاءَت»**. اهـ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

واحذري من كثرةِ التسخط والتبرُّم، فبعضُ النساء إذا أحضر زوجها للبيت شيئًا من طعام أو غيره، ورأته لا يُعجبها تبدأ بالتذمر والتأفف: لماذا أحضرتَ هذا النوعٍ؟ هذا كثيرٌ عندنا، هذا نوعٌ رديءٌ، ونحو ذلك من العبارات التي تقتل مشاعر الزوج الذي تعب ونصح في الشراء.

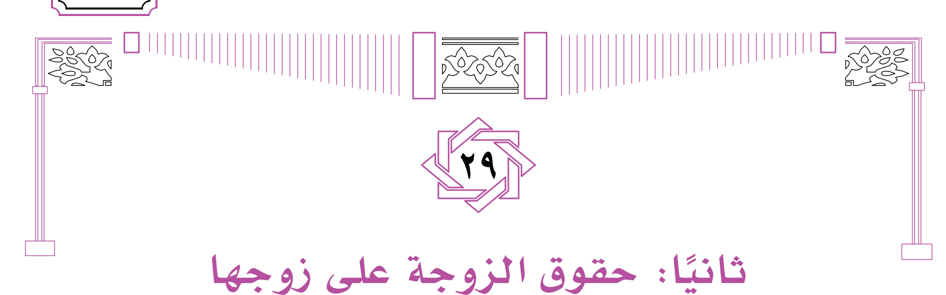
(١) «الكبائر» للعلامة الذهبي (١/ ١٧٢).

والعاقلة تسكت وتُجامل ولو لم يُعجبها، وتطلب منه بعد مضيٍّ وقتٍ طويلٍ أنْ الأنسب لو أحضر النوع الفلاني.

واحذري كذلك من قلَّةُ الاهتمامِ به، وبطعامه ولباسِه وحاجاته الضروريَّة، وقومي بكلِّ ما يطلبه بصدرٍ رحب، دون تذمُّرٍ وعبوسٍ وتسخُّط.

فالواجب على كلِّ امْرأةٍ أن تقوم بهذه الحقوق لزوجها، وأنْ تتقي الله فيه، ولا تلتفت إلى ما يُنادي به أعداءُ الإسلام وأتباعهم.

❊ ❊ ❊



٢٩

ثانيًا: حقوق الزوجة على زوجها

اعلم ـ أيها الزوج الموفق ـ أنَّ الْمَرْأَة إِذا كَانَت مأمورةً بِطَاعَتك، وبطلبِ رِضَاك: فأنت أَيْضًا مَأْمُورٌ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا، واللطف بهَا، وَالصَّبْرِ على مَا يَبْدُرُ مِنْهَا من سوءِ خلقٍ وَغَيرِه، وإعطائها حَقّهَا من النَّفَقَة وَالْكِسْوَة، وَالْعشرَة الجميلة، لقَوْل الله تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى: أي: طيِّبُوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تُحِبُّ ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأهْلي**».

وكان من أخلاقه ﷺ، أنه جَميلُ العِشْرَة دائمُ البِشْرِ، يُداعِبُ أهلَه، ويَتَلَطَّفُ بهم، ويُوسِّعُهُم نَفَقَتَه، ويُضاحِكُ نساءَه، حتى إنه كان يسابق عائشة أمَّ المؤمنين، يَتَوَدَّدُ إليها بذلك، قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَابَقَنِي رسولُ الله ﷺ فَسَبَقْتُهُ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعد ما حَمَلْتُ اللحمَ فسبقني، فقال: «**هذِهِ بتلْك**».

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعارٍ واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء، وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله، يَسْمُر مع أهله قليلًا قبل أنْ ينام، يُؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ

لَّكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. اهـ(١).

فخيرُنا وأفضلنا عند الله تعالى، مَن أحسن في تعامله مع أهله، قَالَ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»(٢).

قال الإمامُ الشوكانيُّ رحمه الله تعالى: فِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَعْلَى النَّاسِ رُتْبَةً فِي الْخَيْرِ، وَأَحَقِّهُمْ بِالِاتِّصَافِ بِهِ: هُوَ مَنْ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ، فَإِنَّ الْأَهْلَ هُمُ الْأَحِقَّاءُ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْإِحْسَانِ وَجَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَذَلِكَ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الشَّرِّ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ، فَتَرَى الرَّجُلَ إِذَا لَقِيَ أَهْلَهُ كَانَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَخْلَاقًا، وَأَشْجَعَهُمْ نَفْسًا، وَأَقَلَّهُمْ خَيْرًا، وَإِذَا لَقِيَ غَيْرَ الْأَهْلِ مِنَ الْأَجَانِبِ، لَانَتْ عَرِيكَتُهُ، وَانْبَسَطَتْ أَخْلَاقُهُ، وَجَادَتْ نَفْسُهُ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَحْرُومُ التَّوْفِيقِ، زَائِغٌ عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ. اهـ(٣).

نعم، مَن كان سيِّئ الأخلاق مع زوجته، أو مُتنطِّعًا مُتشددًا، أو بخيلًا شحيحًا، أو قاسيًا عنيفًا، فليس هو من خير الناس وصالحيهم، ولو كان صائمًا عابدًا قانتًا.

جاء نِسَاءٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَشْتكينَ إليه أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ، يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ: لَيْسَ**

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٤٢).
(٢) رَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ (٧٤٠٢) وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ (١١٦٢) وصححه الألباني أيضًا في تعليقه على الترمذي.
(٣) «نيل الأوطار» (٤/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ». رواه أبو داود[١] وصححه الألباني[٢].

وقد حكم الله تعالى وهو أحكم الحاكمين بأنَّ للمرأةِ مِن الحقِّ مثلَ الذي عليها، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: ولهن على الرجال من الحق مثلَ ما للرجال عليهن، فلْيؤدِّ كلُّ واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف، كما ثبت في «صحيح مسلم»[٣] عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهُنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف**».

واعلم ـ أيها الزوج ـ أنَّ للمرأةِ عليك حقوقًا كثيرة، يجب عليك أنْ تُؤدِّيَها لها، ومن أهمّها وأوجبها.

١ ـ أنْ تبتعد عن التكلُّف والرسميَّات، فليس بين الزوجين مثل هذه الأمور.

قال عمر الفاروقُ رضي الله عنه: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ. رواه البخاري[٤].

فعلى العاقل أنْ يعيشَ الحياةَ الزوجيَّة ببساطةٍ دون تعقيد، كما كان يفعل نبيُّنا ﷺ.

ومن ذلك أنْ تَكون معها سهلًا ليِّنًا، سمحًا لطيفًا، تَنزل عند رغبتِها فيما لا محظور فيه، ولا ضرر في تلبية طلبها عليك.

يقول جَابِرٌ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا، إِذَا هَوِيَت

(١) (٢١٤٦).
(٢) «صحيح الجامع الصغير» (٩٢٦٨).
(٣) (١٢١٨).
(٤) (٧٢٩٣).

عَائِشَةُ ﵂ الشَّيءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ. رواه مسلم[١].

نعم، كان سهلًا لطيفًا مُتسامحًا، فهلَّا فعلنا نحن كذلك، وهو بهذه الأخلاقِ السَّمحةِ قاد الأمَّة بأجمعها.

٢ ـ أنْ تُراعي مشاعرها وضعفها، فهذه سارةُ ﵍، غارتْ من هاجر أمِّ إسماعيل، حينما أنجبت منه إسماعيل، ولم تُرزَق سارةُ بولدٍ بعدُ، حتى اشتدَّت غيرتُها، فرأى إبراهيم ﵇ شدَّةَ غيرتها، فما كان منه إلا أنْ ذهب بهاجر بعيدًا عنها حيث نقلها من الشام إلى مكة، وقطع المفاوز الطويلة مراعاةً لمشاعر زوجته، ولم يعنفها ﵇، أو يهدِّدها بالطلاقِ كما يفعله بعض الناس[٢]، فكيف يتعامل أحدنا مع غيرة نسائه؟.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مرَّةً عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بإناءٍ فِيه طَعَامٌ، فغارتْ زوجته التي هو فِي بَيْتِهَا، فَضَرَبَتْ يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَ الإناءُ فَانْكسر.

يا له من موقفٍ ما أصعبه على نفوس الرجال، وما أحراه لغضبه وحنقه، فماذا فعل النبيُّ ﷺ، مع هذه المرأةِ التي تجرَّأت على هذا الفعل؟

جعل النَّبِيُّ ﷺ يجمَعُ ما تناثر من أجزاء الإناء الْمكسور، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيه الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِيه وَيَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**».

ثُمَّ قَالَ: «**كُلُوا**»، وكأنَّ شيئًا لم يكن، فَأَكَلُوا وشبعوا، فلما انتهوا، دَفَعَ إِلَى الخادم إناءً آخر، وَتَرَكَ الْمَكْسُورَ في بيت التي كسرته، وانتهت المشكلةُ بهذا التصرُّف الحكيم[٣].

---

(١) (٢٩٩٨).

(٢) والقصة في «صحيح البخاري» (٣٣٦٤).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢٥).

وهذا موقفٌ آخر ـ نتعلَّمُ منه أعظمَ درسٍ في مراعاةِ مشاعرِ الزوجة ـ روى مُسْلِم في صحيحه[١]، أَنَّ فَارِسِيًّا صَنَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، ثم جاء إلى بيته وعنده عائشةُ رضي الله عنها، فدَعَاهُ إلى هذا الطعام، فنظر النَّبِيُّ ﷺ، فإذا عائشةُ تسمع دعوة جاره، فلم تطب نفسه أنْ يذهب ويدعها، وربما ليس في البيت طعامٌ، فكيف تطيب نفسُه أنْ يأكل دونها، فأشار ﷺ إلى عائشة وقال: «**وَهَذِهِ؟**» فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بكلِّ صراحةٍ، ودون مُجاملةٍ: «**لَا**» فَعَادَ مرةً أخرى يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَهَذِهِ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا**» ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَهَذِهِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ ـ أي: يمشي كلٌّ واحدٍ منهما في أثر صاحبه ـ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ.

هذه هي الأخلاق التي ينبغي لنا أنْ نتعلّمها ونتحلَّى بها، فليس اتباع النَّبِيِّ ﷺ مُقتصرًا على اتِّباعه في عبادته فحسب، بل في كلِّ شيءٍ، ومن أعظم ذلك: اتِّبَاعُه في تعامله وأخلاقه، وسماحته وتواضعه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وتأمل كيف أنه ﷺ لم يجد حرجًا ولا غضاضةً من الذهاب والمجيء مع زوجته، ومرافقتِه لها، بل والإلحاحِ على ألا يُستضاف إلا وهي معه، وهذا بخلاف ما عليه بعض الناس، الذين يجدون الحرج الشديد، والحساسيةَ المفرطة من ذلك.

فأعظم حقٍّ للزوجات: هي سماحتكَ ومُراعاة مَشاعِرِها.

٣ ـ أنْ تتحمَّل ما يصدر منها، فما تُعانيه من تربيةِ أولادها، وما يعتريها من العادة الشهرية وغير ذلك يجعلها لا تتمالك نفسها في كثيرٍ من الأحيان، فإذا ردَّت عليك قولك أحيانًا، أو سخِطت وغضبت، فتغاضَ

---

(١) (٢٠٣٧).

عنها ولا تُعنِّفها ـ ما لم يقلّ أدبها، وتتجاوزْ حدودَها المعقولة ـ.

فهذا رسولنا وإمامنا وقدوتنا، تردُّ عليه وتُراجعه بعضُ نسائه، بل وتهجرُه أحيانًا، وهو رسولُ اللهِ الْمُؤيَّدُ بروح القدس، ومع ذلك تغاضَى عنهنّ وحلُم عليهنّ.

يقول عمر ﷺ: صَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي ـ أَيْ: تُرَادِدنِي فِي الْقَوْل، وَتُجَادِلُنَيْ فِيهِ ـ فقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهَا: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ حَفْصَةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: قَدْ خِبْتِ وَخَسِرْتِ. رواه البخاري[١].

والبعض منَّا لا يَحْتَمِلُ من زوجته أنْ تُراجعه، أو تعترضَ على قولٍ أو فعلٍ صدر منه، بل ويعتبر ذلك نقصًا في رجولته وهيبته، ورسولنا وقدوتنا وإمامنا، الذي هو أعظم الناس مكانة، وأرفعهم منزلة، يقبل ذلك من زوجاته، بل وتَهْجُرُهُ إحداهنّ يومًا كاملًا.

واعلم أيها الرجل: أنَّك إنما جُعلْتَ أكمل عقلًا من المرأة، لتسْتعمله في مُراعاة عقلها، ومُداراةِ طبعها، والتجاوزِ عن زلاتها، وإن لم تفعل ذلك: فما قيمةُ كمال عقلك إذن؟.

واعلم أنَّ هناك داءً عُضالًا، يفعله الكثير من الأزواج، وهو الذي عكَّر الحياةَ الزوجيَّة، وأفسد صفاءها وأُنْسها، وهي ما يعتقده بعض الأزواج، أنه حينما تتصرَّف زوجتُه تصرُّفًا سيِّئًا يقوم بعتابها ولومها، حتَّى

(١) (٥١٩١).

لا تُكرر فعلها مرَّةً ثانية، وهو لا يدري أنه بفعله هذا قد أفسد أكثر مما أصلح، فكثرة العتاب واللوم يُصيب الحياة الزوجيَّة بالفتور والملل.

يقول أحدُ الأزواج: أمضيت خمسًا وعشرين سنةً مع زوجتي، لم أذق طعم ولذَّة الحياة الزوجية، إلا حينما تركت هذا الاعتقاد الفاسد، فرأيت منها حين تركت اللوم والعتاب الاحترام والتقدير، وسارتْ حياتُنا بعد ذلك بأحسن حال.

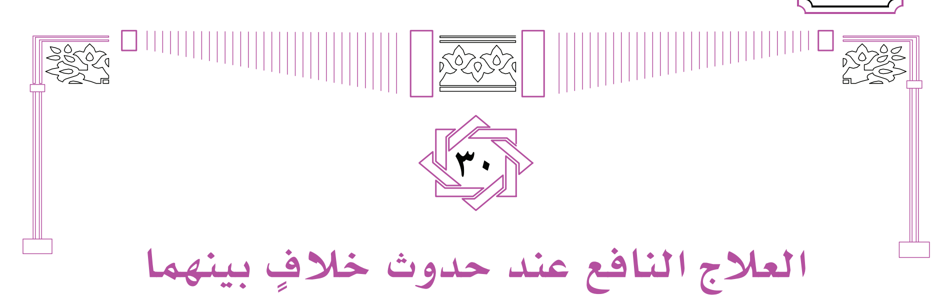
٤ ـ إكرامها والإنفاقُ عليها، وعدمُ إهانتها، سَأَلَ رَجُلٌ رسول الله ﷺ، مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ فقَالَ: «**تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**». رواه الإمام أحمدُ[1] وأبو داود[2] وصححه الألبانيُّ[3].

٥ ـ التجمل والتنظُّفُ لها، فبعضُ الأزواج يُقابل زوجتَه وهو رثّ الهيأة، غير مقبول الرائحة، ولا يُكلِّف نفسه الغسل لها، والتجمل لأجلها.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إني لأحب أن أتزيَّن للمرأة كما أحب أن تتزين لي؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

* * *

(١) (٢٠٠١٣).
(٢) (٢١٤٤).
(٣) في «صحيح أبي داود».



٣٠
العلاج النافع عند حدوث خلافٍ بينهما

كثرتْ الخلافات بين الكثير من الأزواج، وإنك لتعجبُ من وصول كثيرٍ منها إلى حدّ المشدات والاتهامات، بل حضر عندي الكثير مِمّنْ عَزَمُوا على الطّلاق، واسْتشاروني في الفراق، وبعضهم ضاقت به الدنيا من كثرةِ المشاكل الزوجيّة، وآخر يحلف لي بأنّه أُصيب بمرض القولون من آثار هذه المشاكل.

وفي هذا الفصل علاجٌ ناجعٌ بحول الله تعالى للخلافات بين الزوجين، والخطوات التي يجب عليهما اتّخاذها قبل الطلاق.

والواجبُ أنْ يَكُونَ العلاج كما أمر الله ورسولُه، لا كما يُمْليه الهوى ويأمر به الشيطان؛ فإنَّ غايةَ أُمنيةِ الشيطان أنْ يقعَ الطلاق.

والعلاج النافع والشافي: هو في كلام رب العالمين، وكتابِه الْمُنزَّل على سيِّدِ الْمُرسلين.

فلْيسْمَعْ كلُّ زوجين حصل بينهما خلافٌ وشقاق، وكلُّ أبٍ وأمّ ابْتُليا بابنةٍ ترغب بفراق زوجها، أو بولدٍ يُريدُ فراق زوجته من غير سببٍ ـ: لِيسمعوا إلى أعظم وأفضل علاجٍ لهما، وهي مذكورةٌ في كتاب الله على أربعِ مراحل:

المرحلةُ الأُولى: الموعظة والنصيحة بالرفق واللين:

فعلى الرجل أن يستمع إلى شكوى زوجته، فإنْ كان حقًّا وجب عليه القيام به، كأنْ تشكوَ له بُخله وإهماله، وشدَّته وقسوته، وحرمانَها

من شراء ما تحتاجه، أو حرمانَها من زيارةِ أقاربها، فيجب عليه أنْ يَقوم بذلك بلا تفريط.

فإنْ كان ما تشكوه باطلًا، كأنْ تُطالبه بفراقِها وتطليقِها، أو بالإنفاق عليها بما لا يُطيقُه فلْيُبيِّنْ لها عدم قدرته على ذلك، وأنه لا حقَّ لها شرعًا بما تطلبه.

وأفضل طريقةٍ مُجرَّبةٍ: أنْ يجلس الزوجان ويتحاوران بهدُوءٍ، فيُبدي الزوجُ ما يُلاحظه على زوجته من تصرُّفاتٍ وسلوكيَّاتٍ تُزعجه، ويُصارحُها بما يُبغضه فيها من أخلاقها ومُعاملتها، ثم تفعل الزوجة الأمر نفسه، ويكتبان ذلك بينهما، ويتعهدان على القيام بما يُريده كلُّ واحدٍ منهما من الآخر، ويجتنبان ما يُبغضانه من الآخر.

ويُعلقان هذه الورقة في غرفتهما، ويتعاهدانها بين الفينةِ والأُخرى، ويُوقِّعَان عليها ويكتبان التاريخ أيضًا.

فإن أخلَّ أحدُهما بما اتفقا عليه فلا ينبغي اسْتعمال العتاب والكلام الجارح، بل ينبغي تذكيرُه بالاتفاق.

فإنْ لم تقم المرأة بما تعهَّدا به، وأصرت على غيِّها ونُشوزها: فلْيعظها برفقٍ ولين، ولْيُذَكِّرْها بواجبها تجاهه، ولْيُخوِّفْها من عذاب الله وسخطه.

وتأملوا ـ معاشر الأزواج ـ إلى قول الله تعالى لكم: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فالموعظةُ في اللغةِ والاصطلاحِ الشرعي: لا تكونُ بالصراخ والتهديدِ، بل بالنصيحةِ المصحوبةِ بالشفقة والرحمة.

قال ابن منظورٍ ـ رحمه الله تعالى ـ في لسان العرب[1]: الوَعْظ:

(١) مادة: (وعظ).

النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب، وهو تذكيرك للإنسان، بما يُلَيِّن قلبَه من ثوابٍ وعِقابٍ. اهـ كلامه.

هذه هي الْموعظة التي أُمرتَ بها: تنصحُ زوجتك، وتُذكِّرُها بالآثار المترتبةِ على تقصيرها، لا أنْ تُهدِّدَها وترفعَ صوتَك عليها، ولا تقبلَ بانتقاداتها وملاحظاتها عليك.

وعندما يقول الْعِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ رضي الله عنه: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْها الْعُيُونُ[(١)].

هل هذه الموعظةُ كانت بتهديدهم والصراخ عليهم، أم كانت باسْتمالةِ قلوبهم، وتحريكِ عواطفهم، التي بسببها وَجِلَتْ مِنْهَا قُلُوبُهم، وَذَرَفَتْ مِنْهُا عُيُونُهم.

«فالْوَعْظُ: النُّصْحُ وَالتَّذْكِيرُ بِالْخَيْرِ وَالْحَقِّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرِقُّ لَهُ الْقَلْبُ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ»[(٢)].

فهذا هو أول العلاج، في التعامل مع الزوجات الْمقصِّرات والعاصيات، وهي الْموعظةُ الْحسنة، وهي لا تكون بيومٍ ولا يومين، بل تكون على فتراتٍ من الزمن، يتخلَّلها التغاضي والبذلُ والإحسان.

ولا يحقُّ للزوج أنْ ينتقل إلى المراحلِ الأخرى حتَّى يقومَ بالموعظة على أتمِّ وجهها، فإن استجابت بعد ذلك، وإلا انتقلَ إلى **المرحلة الثانية**: وهي أنْ يهجرَها في فراشه، فلا يُواقعها لِيُبيِّن لها عدم رضاه عن تقصيرِها في حقِّه، ولكن دون شتمٍ ولا كلامٍ بذيء، وهذا الهجر يجب ألا يطَّلع عليه الأهلُ ولا الأولاد، وينبغي ألا يمتنع من الحديث معها بقيةَ اليوم، فإنْ هجرها وامْتنع من كلامها أكثر من ثلاثةِ أيامٍ: حرُم عليه

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٤٦٠٧)، وغيرهما.
(٢) «تفسير المنار» (٢/ ٣٥٩).

ذلك، قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ**»[(١)].

فإن استجابتْ الْمرأةُ بعد الهجر، وإلا انتقل الزوجُ إلى **المرحلة الثالثة**: وهي أنْ يضربها ضربًا غَيْرَ مُبَرِّح، وهو إشْعارٌ منه عن غضبه على تقصيرها، ولا يكون إلا بطرف اليد، أو بطرف قضيبِ الأراك ونحوِه، دون الوسائل الأخرى في العقاب، كالعصا والسوط والعقال ونحوِها، ودون ضربِ الوجه أو الرأس، أو الأماكنِ التي تُصيبُها بالضَّرر، فهذا مُحرَّمٌ ولا يجوز، والضرب إنما هو للتأديب لا للتَّشفي والإهانة.

والكريم والعاقل: لا يلجأ إلى الضرب ولا يرضاه لنفسه، ولا يجوز له اسْتِعمالُه، إلا بعد اسْتنفادِ المرحلتين السابقتين.

وهذه الْمراحلُ قد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

فإن استجابت الْمرأةُ، وإلا انتقل الزوجُ إلى **المرحلة الرابعة**: وهي طلبُ الصلح من أطرافٍ أُخرى، وذلك بأنْ يجتمع بعضٌ من أقاربِ الزوج، أو أصدقائِه أو جيرانِه، وبعضٌ من أقاربِ الزوجة، مِن أهل الحكمة والخبرةِ والصلاح، بشرط أنْ يكون اجتماعُهُم على نيَّةِ الصلح والوفاق، لا أنْ يكون أحدُهما يرغب في الطلاق.

فينظرُ الحكمانِ الصالحانِ في الْمُشكلة، ويَسْمعان من الطرفين، ويفصلان فيها بعدلٍ وحكمةٍ وصواب، إما بالتوفيق وإما بالتفريق، وينفُذُ حُكمهما ولو لم يرض الزوجان.

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: وقد أجمع جمهور العلماء: على أن

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٦٦٩٧).

الحكمين لهما الجمع والتفرقة.اهـ[١].

وهو قول الإمام ابن بازٍ رحمه الله تعالى[٢].

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

قال العلامةُ السعدي رحمه الله تعالى: أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين، ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾؛ أي: رجلين مكلفين مسلمين، عدلين عاقلين، يعرفان ما بَيْن الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق، وهذا مستفادٌ من لفظ الحَكَم؛ لأنه لا يَصلح حكمًا إلا مَن اتَصف بتلك الصفات.

فينظران ما يَنْقِمُ كلٌّ منهما على صاحبه، ثم يُلزمان كلًّا منهما ما يجب.

فإن وصلت الحال، إلى أنه لا يُمْكن اجتماعُهما وإصلاحُهما، إلا على وجه المعاداة والمقاطعة، ورَأَيا أن التفريق بينهما أصلح، فرَّقا بينهما، ولا يُشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين، والحَكَمُ يحكم، ولو لم يرض المحكومُ عليه.اهـ[٣].

ولا يجوز للزوج ولا لأولياء المرأة: أنْ يمتنعا عن هذه المرحلة الإصلاحية، بل يجب عليهم السعي في الإصلاح أولًا قبل طلب الطلاق.

فإذا لم تُجْدِ هذه المراحلُ الأربع، فلا سبيل إلى الفراق إلا بواحدٍ من أمرين: إما بالطلاق أو بالخلع.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦١٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٢٠٢).
(٣) «تفسير السعدي» (١/ ١٧٧).

فإذا رضي الزوج بالفراق، وسمحتْ نفسُه بذلك: فإنه يُطلقها على الوجه الشرعي، وذلك بأن يُطلِّقها طلقةً واحدة، في طُهْرٍ لم يُجَامعها فيه، ولْيُشْهدْ رجلين على طلاقه، ثمّ يترُكُها حتى تحيض ثلاث حِيَضٍ، فتنقضي عدتها بانتهاء الحيضةِ الثالثة، وقد بانت منه بينونةً صُغرى، حيث يجوز له الزواجُ منها إنْ شاءت، بمهرٍ وعقدٍ جديد، ويكون خاطبًا من الخطّاب، وعليه نفقتها وسَكَنُها ما دامت في عدَّتها.

أما لو طلَّقها ثلاثًا، فقد بانت منه بينونةً كُبرى: فلا يجوز له الزواج منها حتَّى تنكح زوجًا غيرَه.

ولا يجوز للمرأةِ التي طُلِّقتْ مرَّةً أو مرَّتين: أنْ تترك بيت زوجها، بل تمكثُ فيه حتَّى تنقضيَ عدَّتُها.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: إذا كان الطلاق رجعيًّا، فلا بأس أن تكشف له زوجتُه، وتحادثَه ويخلوَ بها، وتبقى عنده في البيت حتى تنقضيَ العدة، بل يجب أن تبقى عنده في البيت، إذا طلقها طلاقًا رجعيًّا، لا يجوز أنْ يُخْرجَها ولا أنْ تَخْرُج، خلافًا لِمَا اعتاده أكثرُ الناس اليوم، إذا طلق زوجته خرجت من البيت إلى أهلها، وهذا حرامٌ؛ لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [الطلاق: ١] ثم قال مشيرًا إلى ما سبق: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ ثم قال معللًا لبقائهن في البيوت: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ١﴾ فإذا بقيت في بيته: فربما يُحْدث الله أمرًا تتعلق رغبتُه بهذه المرأة، فيُراجِعُها من غير أن يحصل بينهما تباعد. اهـ[1].

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٦/ ١٩).

وإنْ أبى الزوجُ الفراق، فإنَّ الْمرأةَ تختلعُ منه، وذلك بأنْ تردّ عليه مَهره الذي أعطاه إيَّاها.

ولْتتق الله كلُّ امرأةٍ خرجت من بيت زوجِها الْمرضيِّ في دينِه، وهو لم يُطلِّقها، أو طلَّقها طلاقًا رجعيًّا، وهو يدعوها إلى الرجوع والعودة، والنقاشِ والحوار، ولْتعلم أنها آثمةٌ مُعتديةٌ على حدودِ الله، وأنَّ كلَّ يومٍ يمرُّ عليها تزدادُ فيه إثمًا، بل هي مُعرِّضةٌ نفسَها لِسَخط الله تعالى، قَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**». رواه مسلم[(١)].

وهي مُعرَّضةٌ للَعْنَةِ الْمَلَائِكَةِ أيضًا، قَالَ ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ**». متفق عليه[(٢)].

فلْتصبر على الرجوعِ إليه، فإنها تصبر على ذلك، ولا تصبر على النارِ التي وقودُها الناسُ والحجارة، ولْتُناقشه ولْتُحاوره، فإنْ لم ينفع ذلك، امْتثلا أمر الله لهما ببعثِ الحَكَمَين الْمُصلِحَين، فيحكمان بعد السماع منهما، فيُلْزِمان كلَّ واحدٍ منهما، بأنْ يقوم بواجبه تجاه الآخر، فيمتثلُ الزوجانِ وجوبًا، فإنْ رأيا أنّ الحلَّ في الطلاق: نفذ حُكمهما في ذلك.

واعلمي ـ أيتها المرأة الموفقة ـ أنَّ الزوجة متى طَلبت الطلاق من غير سببٍ، ولا مقتضٍ شرعيٍّ فإنها آثمةٌ والعياذ بالله، قَالَ ﷺ: «**أَيُّمَا**

(١) (٣٦١٣).
(٢) البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (٣٦١١).

امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ». رواه الإمامُ أحمدُ وأصحاب السنن[١] وحسنه الترمذيُّ وصححه الألبانيُّ[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وَلَوْلَا أَنَّ الْحَاجَةَ دَاعِيَةٌ إِلَى الطَّلَاقِ: لَكَانَ الدَّلِيلُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ وَالْأُصُولُ؛ وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَبَاحَهُ، رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ لِحَاجَتِهِمْ إلَيْهِ أَحْيَانًا، والطَّلَاقُ إذَا لَمْ تَدْعُ إلَيْهِ حَاجَةٌ: مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، إمَّا نَهْيُ تَحْرِيمٍ، أَوْ نَهْيُ تَنْزِيهٍ. اهـ[٣].

والعجيب أنَّ بعض الآباء والأمهات يكونون في كثيرٍ من الأحيان السببَ في طلاقِ ابنتهم، وتشتُّتِها وضياعِها، وذلك بإغرائِها في فراق زوجها، أو بالوقوفِ معها في كلِّ صغيرٍ وكبير، وعدمِ حثِّها على الصبر والاحتساب، فلْيحذروا من حسابٍ عسير، في يومٍ يُحاسبُ الله عن الكثير واليسير.

وهما في ذلك قد حقَّقا ما يتمناه الشيطان، قال ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ويَلْتَزِمُهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**». رواه مسلم[٤].

---

(١) أبو داود (٢٢٢٨)، والترمذي (١١٨٧)، والنسائي (١٤٦٣٧)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٢٣٧٩).

(٢) «صحيح الجامع الصغير» (٤٤٧١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٨٩).

(٤) (٧٢٨٤).

فالشيطان الرجيم يأمرُ بالطلاق ويسعى للشقاق، ويُغلق باب الحوار والعلاج، فمن أمر ابنته أو أخته بالطلاق دون ضرورةٍ، وأغلق باب الحوار والنقاش فقد أغضب الرّحمٰن وأرضى الشيطان، وخَدَمَه خدمةً يَعْجِزُ عنها الكثيرُ من شياطينِ الْجَانّ.

ولْتعلمِ الزوجة: أنَّه إذا طلب والداها أو أحدُهما معصيةَ زوجِها أو فراقَه، وهو سليمُ العقلِ والديانة، فإنه لا يجب عليها أنْ تُطيعهما، بل لا يجوز لها ذلك، والأبوان في ذلك ظالمان مُعتديان والعياذُ بالله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: الْمَرْأَةُ إذَا تَزَوَّجَتْ: كَانَ زَوْجُهَا أَمْلَكَ بِهَا مِنْ أَبَوَيْهَا، وَطَاعَةُ زَوْجِهَا عَلَيْهَا أَوْجَبُ، ولَيْسَ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ إلَّا بِإِذْنِهِ، سَوَاءٌ أَمَرَهَا أَبُوهَا أَوْ أُمُّهَا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَنْتَقِلَ بِهَا إلَى مَكَانٍ آخَرَ، مَعَ قِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَحَفِظَ حُدُودَ اللهِ فِيهَا، وَنَهَاهَا أَبُوهَا عَنْ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ، فَعَلَيْهَا أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا دُونَ أَبَوَيْهَا، فَإِنَّ الْأَبَوَيْنِ هُمَا ظَالِمَانِ، لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يَنْهَيَاهَا عَنْ طَاعَةِ مِثْلِ هَذَا الزَّوْجِ، وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أُمَّهَا فِيمَا تَأْمُرُهَا بِهِ، مِنَ الِاخْتِلَاعِ مِنْهُ، أَوْ مُضَاجَرَتِهِ حَتَّى يُطَلِّقَهَا، فَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ وَاحِدًا مِنْ أَبَوَيْهَا فِي طَلَاقِهِ، إذَا كَانَ مُتَّقِيًا لِلَّهِ فِيهَا. اهـ[(١)].

وإنَّ جلوسَ الْمرأةِ مع زوجها الْمرضيِّ في دينِه، ورعايتَها معه لأبنائِهما: لهو والله خيرٌ من الفُرقةِ والتشتت، وإنَّ الصبر لا يأتي إلا بخير، وإنَّ العجلة لا تأتي إلا بشر، فلْتفكِّرِ المرأةُ مليًّا في مآلها، ومآل أبنائِها بعد الطلاق والفراق، حين يتشتَّتُ أبناؤُها، وتشعرُ بالوِحدةِ والعُزلة، حين ترى الأطفال بين آبائهم وأمهاتهم، بينما ترى أطفالَها

(١) «إقامة الدليل على إبطال التحليل» (٣/ ٤٨ ـ ٥١).

كالأيتامِ، وهي وحيدةٌ بين جُدران بيتِ أهلها، فمن الْمسؤول عن ذلك كلِّه؟.

لكنْ إذا كرهتْ زوجها لأسبابٍ وجيهة، ولم تُطقْ الْمُكث معه، لضعف دينه أو سوء أخلاقه، فإنها لا تُجبرُ على العيش معه، وحينئذٍ لا يجوز للزوج ـ بعد أنْ يتَّخذَ الأسباب في إرجاعها ـ أنْ يتركها مُعلَّقةً بلا طلاق، فهذا ظلمٌ وعدوانٌ والعياذ بالله، وهذا ما كان عليه أهل الجاهلية، فمن فعل ذلك فقد شابههم في فعلهم.

وهذا ما يُعرف بتعليق الزوجة الناشز، وهو إجبار الزوجة التي خرجت عن طاعة زوجها، على العودة إلى بيته، فإما أن ترجع راغمة، وإما أنْ يمتنع من طلاقها، للإجحاف بحقها، وبقائها في عصمته سنين طويلة، لا هي زوجة ولا هي مطلقة.

وهذا حرامٌ وظلمٌ ومنكرٌ عظيم، يعارض قواعد الشريعة، وينافي الفِطَر السليمة، لا يقره دين الإسلام، ولا يرضى به أصحابُ الضمائر الحيَّة.

وقد دل على تحريمِ العضل قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣١].

فهذا نهيٌ صريحٌ عن إمساك الزوجةِ التي تكره زوجَها ولا تُطيقه، وحكم الله تعالى وهو أحكم الحاكمين، بأنَّ فاعلَ ذلك ظالمٌ لنفسه.

وروى البخاريُّ في صحيحه[١] أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي لَا أُطِيقُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟**» ـ أَيْ:

(١) (٥٢٧٣).

بُسْتَانه ـ قَالَتْ: نَعَمْ، فقَالَ لزوجها: «**اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً**».

تأمل قولها: مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، أَيْ: لَا أُرِيدَ مُفَارَقَته لِسُوءِ خُلُقه وَلَا لِنُقْصَانِ دِينه، قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله تعالى: وَهَذَا ظَاهِره أَنَّهُ لَمْ يَصْنَع بِهَا شَيْئًا يَقْتَضِي الشَّكْوَى مِنْهُ بِسَبَبِهِ.اهـ(١).

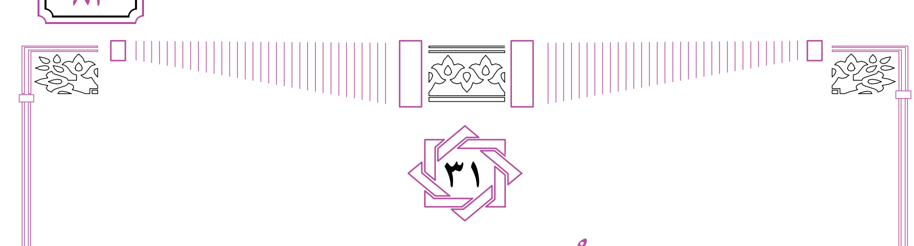
فالمرأة قد تكره زوجها لا لسببٍ واضح، كخللٍ في دينه، أو سوء مُعاملته، وإنما كرهته نفسيًّا فطريًّا، فمن حقِّها طلب الطلاق أو الخلع، ولكن بعد بعثِ الحكمين للإصلاح بينهما.

قال الإمامُ العلامةُ ابن باز رحمه الله تعالى: لا شك أن الناشز لا تستحق على زوجها شيئاً من النفقة، حتى ترجع إلى الطاعة إذا كان نشوزُها بغير حق، وتقدير المدة يرجع فيه إلى اجتهاد الحاكم، أما ما يفعله بعض القضاة من الحكم على الناشز بإسقاط نفقتها وحبسها في ذمة زوجها سنين طويلة، فلا أعلم له أصلًا في الشرع، وفيه ظلم لها فقد يكون لنشوزها أسباب أوجبت ذلك؛ منها كراهيتها للزوج وعدم رغبتها في معاشرته، ومنها سوء معاملته لها إلى غير ذلك من الأسباب.

أما أن تحبس المرأة سنين طويلةً بدون نفقة، وتحرم من الاستمتاع بِمَبَاهِجِ الحياة، لكونها سئمت من عشرة زوجها، فهذا فيه مفاسد كثيرة، وضررٌ عليها وعلى الزوج، والزوج له حقٌّ محدود، وهي كذلك لها حقٌّ مثلُه، فلو كرهها زوجها وأُلزم بمعاشرتها، فهل يرضى ذلك؟ لا أظنه يرضى.اهـ كلامه رحمه الله تعالى(٢).

هذه نظرةٌ سريعةٌ لهذا السبب الشائك، والذي هو من أكبر أسباب الخلافات الأسرية، مع السعي الحثيث في ذكر العلاج الناجح له.

(١) «فتح الباري» (١٥/ ١٠٣).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٢٠٢).



٣١ شروطُ الزواج من الثانية

لا شكّ أنّ التعدد مشروعٌ في الإسلام، بل نصَّ الله تعالى على إباحته في كتابه فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣].

ونرى نبينا ﷺ وأصحابه قد عدَّدوا.

ولكنْ هل كلّ من رغب في التعدّد يجوز له ذلك؟

كلا، بل إنّ تعدّد الزوجات ليس بالأمر الهيّن، وليس هو تجربةً يخوضُها كلّ مَن هبّ ودبّ.

فكم خسر المعددون حياتهم المستقرّة، وكم هم الذين فارقوا زوجاتهم بعد أن عدّدوا، وكم هم الذين أنجبوا عشرات الأولاد وأهملوهم وضيّعوهم.

بل إنّي اسْتدعيت مرّةً وليّ أمر طالب، وهو من أغنياء ووجهاء أحد البلدان، فلمّا جاءني قلت: إن ابنك يشتكي منه المعلمون، فقال: من تعني؟ قلت: ليس لك في المدرسة إلا ابنٌ واحد، قال: لم أعلم أن أحد أبنائي يدرس عندكم!!

بل إن بعض أبنائه من زوجات مُختلفات لا يعرف بعضُهم بعضًا، وقد تجاوزوا الخمس عشرة سنة.

ولا يرى بعض أبنائه إلا في العام مرّةً واحدة!

أمثل هذا يُشرع له التعدّد؟ لا والله.

إنّ تعدد الزوجات مطلبٌ شرعيّ، ولكن ليس لذاته، بل لتحقيق مطالب شرعيةٍ كثيرةٍ أيضًا، منها إقامة العدل بين الزوجات، وإنجاب الأولاد الصالحين، وإعفاف نفسه وزوجاته، ونحو ذلك من المطالب المهمة في الزواج.

ومن أراد التعدد فيجب عليه أنْ يُراعي أمورًا كثيرة منها:

١ ـ أنْ تكون عنده قدرةٌ في ماله وسكنه، فبعض الأزواج يتزوج الثانية ولم يُؤمن له سكنًا مُناسًبا، وعنده ضائقةٌ مالية، فيعيشون في فقرٍ مُدْقع، وحرج وأزمةٍ حادَّة.

٢ ـ أنْ تكون عنده قدرةٌ في بدنه، وذلك بألا يكون مريضًا بضعف الشهوة، وانتصاب الذكر.

٣ ـ أنْ تكون عنده قدرةٌ على العدل، بأنْ يكون حليمًا سمحًا حكيمًا، أمّا أنْ يتزوج وهو يعرف من نفسه أن لن يعدل تمام العدل، أو أنه سيُحابي إحداهن على الأخرى، فلا يجوز له التعدّد.

قال العلامةُ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: نقول أولًا للأزواج: لا ينبغي أن تتزوج بأكثر من واحدة إلا إذا كان الإنسان عنده قدرة في المال وقدرة في البدن وقدرة في العدل، فإن لم يكن عنده قدرة في المال، فإنه ربما يكون الزواج الثاني سببًا لتكاثر الديون عليه، وشغل الناس إياه بالمطالبة، وإذا لم يكن عنده قدرة في البدن، فإنه ربما لا يقوم بحق الزوجة الثانية أو الزوجتين جميعًا، وإذا لم يكن له القدرة على العدل، فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾. اهـ[(١)].

٤ ـ ألا يقصد من التعدّد إغاظة الأولى، فهذا سفهٌ وحقد، فإن كانت

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١١/ ٣٤٢).

الأولى عندها قصورٌ واضح، ولم تُحقق له اسْتقراره النفسيّ أو الجنسيّ، فله التعدّد بنية تحقيق هذه المطالب، لا بنيّة إغاظتها وتكدير خاطرها.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩]: إِنَّ فِي الْآيَةِ مَوْعِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ يَتَأَمَّلُهَا وَيَعْتَبِرُ بِهَا مِنْ عُبَّادِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ، الَّذِينَ لَا يَقْصِدُونَ مِنَ الزَّوْجِيَّةِ إِلَّا تَمْتِيعَ النَّفْسِ بِاللَّذَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْمُؤَقَّتَةِ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ أَرْكَانِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] وَلَا مُرَاعَاةِ أَمْرِ النَّسْلِ وَصَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ، أُولَئِكَ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنَ الزَّوَاجِ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، يَتَزَوَّجُونَ الثَّانِيَةَ لِمَحْضِ الْمَلَلِ مِنَ الْأُولَى وَحُبِّ التَّنَقُّلِ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ وَالرَّابِعَةَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، لَا يَخْطُرُ فِي بَالِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَمْرُ الْعَدْلِ، وَلَا أَنَّهُ يَجِبُ لِإِحْدَاهُنَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَقَدْ يَنْوِي مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنْ يَظْلِمَ الْأُولَى وَيَهْضِمَ حَقَّهَا، وَلَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ ارْتَكَبَ فِي ذَلِكَ إِثْمًا، وَلَا أَغْضَبَ اللهَ وَاسْتَهَانَ بِأَحْكَامِهِ، وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَمُرَاعَاةِ أَحْكَامِهِ، يَظُنُّونَ أَنَّ الْعَدْلَ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ أَمْرٌ سَهْلٌ فَيُقْدِمُونَ عَلَى التَّزَوُّجِ بِالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي حَقِيقَةِ الْعَدْلِ الْوَاجِبِ وَمَاهِيَّتِهِ، أَلَا فَلْيَتَّقِ اللهَ الذَّوَّاقُونَ! أَلَا فَلْيَتَّقِ اللهَ الْمُتْرَفُونَ! أَلَا فَلْيَتَفَكَّرُوا فِي مِيثَاقِ الزَّوْجِيَّةِ الْغَلِيظِ! وَفِي حُقُوقِهَا الْمُؤَكَّدَةِ! أَلَا فَلْيَتَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ نَسْلِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِ ذُرِّيَّتِهِمْ! أَلَا فَلْيَتَفَكَّرُوا فِي حَالِ أُمَّتِهِمُ الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى دَعَائِمِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ، وَالذُّرِّيَّةِ الَّتِي تَنْشَأُ بَيْنَ أُمَّهَاتٍ مُتَعَادِيَاتٍ وَزَوْجٍ شَهْوَانِيٍّ ظَالِمٍ!

أَلَا فَلْيَتَفَكَّرُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ وَلْيُحَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ لِيَعْلَمُوا هَلْ هُمْ مِنَ الْمُصْلِحِينَ لِأَمْرِ نِسَائِهِمْ وَنِظَامِ بُيُوتِهِمْ أَمْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَهَلْ هُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ اللهَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَمْ مِنَ الْمُتَسَاهِلِينَ أَوِ الْفَاسِقِينَ؟ .اهـ[(١)].

٥ ـ أنْ يختار الوقت والزمن الْمُناسب، فبعضُ الأزواج متى ما طرأ عليه الزواج، أو عُرضتْ عليه امرأةٌ، بادر وسارع في الزواج، دون النظر في ظروفه وحاله.

أعرف رجلًا قليل ذات اليد، تزوّج امرأةً أُخرى بعد زواجه من الأولى بثلاث سنين فقط، بل وبعد نفاسها بزمنٍ قصير، فكادت أنْ تُجنْ من الصدمة، فعافته وكرهته أشدّ الكره، وحاول إرجاعها بشتّى الطرق، ورفض طلاقها أو خلعها، فرفع وليّها أمرها إلى القاضي فألزمه بالخلع.

ونصيحتي للمرأة التي تزوج عليها زوجها أو عزم على ذلك: ألا تتصرف تصرّفًا غير لائقٍ، ولا أن يكون ردّة فعلها قبيحًا ومشينًا، فتحزّ في نفس الزوج، فتتلقفه الثانية بالحب والاحترام.

وهذا هو السر في ميل الزواج للزوجة الثانية، لِمَا يرى من تصرف الأولى السيِّئ، وتصرف الثانية الحسن اللائق.

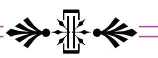
فالْمرأةُ العاقلة تضبط تصرفاتها وأقوالها مهما واجهتْ من أُمور مُنغّصةٍ ومُكدّرة.

أسأل الله تعالى أنْ يجمع الزوجين على محبته وطاعته، وأنْ يُديم عليهما الأنس والمودّة والرحمة، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «تفسير المنار» (٥/ ٣٨٥).


فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة